ما لا نعلمه لأولادنا

د. لطيفة الكندري   د. بدر مالك

تربية المرأة

من منظور محمد الغزالي

ما لا نعلمه لأولادنا

مركز الراية للتنمية الفكرية

تربية المرأة
من منظور الشيخ محمد الغزالي

مركز الراية للتنمية الفكرية

مؤسسة ثقافيَّة تُعنىٰ بالإبداع الفكري وتجلّياته، وتسعىٰ لبعث فكر حضاري رشيد، يعانق الآخر ولا يستبعده، ويُغذّي أنهار المعرفة بفكرٍ مضيء ووجدان سليم... لبناء غدٍ أفضل.

تطلب
جميع منشوراتنا من
مكتبة بستان المعرفة

المملكة العربية السعودية ـ جدة ـ
حي الصفا ـ شارع أم القرى.

هاتف: ٢٧٢٠٧٢٨ فاكس: ٢٧٢٠٧٢٩
ص.ب: ٤١٥٤٧ الرمز البريدي: ٢١٥٣١
جوال: ٠٠٩٦٦٥٠٢٦٨٢٢٤٧

الجمهورية العربية السورية ـ دمشق

ص.ب: ٩١٨٤ هاتف: ٦١١٩٣٦١
E-maiL: alaa-1993 @ hotmail.com.

الطبعة الأولى

٢٠٠٥

جميع الحقوق محفوظة

عنوان الكتاب: تربية المرأة من منظور محمد الغزالي
تأليف: د. لطيفة الكندري ـ د. بدر ملك.
قياس الصفحة: ١٧ X ٢٤سم
عدد الصفحات: ١٧٣ صفحة

٢١٠/٤
ك ل ت

تربية المرأة من منظور الشيخ محمد الغزالي

د. لطيفة حسين الكندري
د. بدر محمد ملك

مركز الراية للتنمية الفكرية

(c) جميع الحقوق محفوظة

لمركز الراية للتنمية الفكرية

١٤٢٥ م ــ ٢٠٠٥ م

أصداء

من خلال موقعكم على شبكة الانترنت تابعت البحث المتميز عن الشيخ محمد الغزالي ذلك العلم الشامخ والنجم الذي لا يزال علمه يفيض على الدنيا

مريم عبدالله النعيمي

بحثكم رائع ويحمل وعيا ونصرة لقضية المرأة التي هي بحاجة إلى المزيد من التبصر

علاء الدين آل رشي

كلمة المركز

الإسلام و:

١ـ المرأة

٢ـ حقوق الإنسان

٣ـ الإرهاب

أحسب أن هذه أهم المحاور التي تشغل عقل العرب والغرب والتي يشكل حلها ردما للهوة السحيقة ما بين العرب من ناحية والإسلام من ناحية ثانية فنحن وكما قال شيخنا الغزالي : لسنا مكلفين بنقل تقاليد عبس وذبيان إلى أمريكا وأستراليا إننا مكلفون بنقل الإسلام وحسب.

في هذا الكتاب رصد حيوي لحكايتنا مع الأنثى تقدما وتأخرا إيجابا وسلبا وذلك من خلال منظور وحيد خطير هو التربية فالغزالي رحمه الله يرى ونحن على أثره أن تراثنا فقها وفكرا يعاني من انحراف واضح في فهم رسالة المرأة الحضارية، وأن مظالم كثيرة تقع على حواء حتى ضاق نطاق تثقيفها وأنه قد آن لنا لنبدأ بالتصويب والتصحيح لكي نتكشف الحقيقة دون تراخ أو خوف بشرط الموازنة ما بين التحديات المدنية والمرتكزات الدينية.

وقضية بهذا الحجم تتطلب المزيد من التدخل والتشخيص والمعالجة من أولي العزم والحزم، ولعلنا نتفق بأن الغزالي كان قويا أمينا في تناوله لهذه (الدملة) بأبعادها القائمة والقاعدة وإن لم يتفرغ لها

وحدها، بل اعتبرها من ضمن حزمة العلل التي استوطنت الجسد المسلم وافترست حركته وفاعليته.

وحين تأتي د. لطيفة ومعها د. بدر ليجليا معا رأي ورؤية الغزالي في تربية المرأة فإنهما يسديان خدمة بحثية رائعة للمكتبة العربية خصوصا وللفكر الإسلامي والإنساني عموما و تستحق بجدارة أن تنال درجة علمية محكمة.

إن العلم بحرصه على الحقيقة يصبح أخلاقا ومحمد الغزالي عالم على مستوى الأمة ارتشف من الأزهر رحيقه ومن الشريعة مقاصدها ومن العصر آلياته.

وحين يدلي بحججه المتينة في شأن المرأة وتربيتها وهويتها وشخصيتها القوية الفاضلة مثلما يستشرفها الإسلام العظيم، فيجب أن نتلقف ذلك ونأخذه على محمل الجد ونبحثه ونناقشه رغبة في الخروج من مآزقنا المتنوعة، لا سيما موضوع التربية الذي يحير الحلماء وقد أجاد المؤلفان الكريمان في تجلية مقصودات الغزالي بالتربية والتثقيف ومنطلقاته التي ارتكز إليها ومواقفه الشامخة إزاء تحديات تربية المرأة وتعليمها.

إنه يؤمن بالتغيير الشامل ويرفض حصر نطاق التعليم والتثقيف في نطاق المدارس. فالأسرة لها دور والمسجد له دور والأم لها دور والمجتمع له دور وكل يتكافل مع الآخر ولا يتنافر أو حتى يتنافس وصولا إلى التربية الصحيحة التي هي (نواة شجرة ثقافية فينانة ذات ظل فكري وريف) تبشر وتنشر الخير والحق والجمال في البر والبحر بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن والجهاد في سبيل الله بأدبياته وأخلاقياته حتى تصطبغ حياتنا من جديد بأنوار الهدى ولآلئ جبريل ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة الأنعام: الآيتان ١٦٢، ١٦٣].

ولن تعلو لنا راية أو ترفع بنا هامة من غير التربية وسيلة وغاية، وأهم حلقاتها تربية المرأة بعيدا عن التزمت والتفلت، وبعيدا عن عزلها وتجهيلها.

لقد تاهت أنظمة التربية ما بين الكلاسيكية والحداثة أو الأصالة والمعاصرة، وكانت تربية البنات أكثر انفصاما في برامج ما بعد الاستقلال السياسي للعالم العربي، حيث تشتت أهداف التربية ما بين التقاليد الراكدة والوافدة ونفرت معظم الحركات النسائية من تعاليم الإسلام بسبب عدم قدرتنا على إشاعة التسامح ورد المظالم وإطلاق الاجتهاد و(نخل التراث لا نقله) أو الجرأة على النقد الذاتي عوضا عن المكابرة والنكاية، وكم كانت مخاوف الغزالي مبررة من وصول بعض الحركات الإسلامية المتشددة إلى كراسي الحكم لأنهم (لا يؤمنون بمبدأ التوسع في تعليم المرأة).

وقد رأينا ذلك بأم العين ودفعنا ثمنه غاليا. وبالتالي امتاز خطابه بالموضوعية والوسطية والوضوح، وعالج بشفافية وخبرة تعليم المرأة في سياقه الثقافي العام وقرر قابليتها للتعليم في أوسع نطاق. وراح يؤسس مع غيره من المنصفين لمنهجية غير مسبوقة تسعى لتفكيك التاريخ البشري والعادات الاجتماعية المتجذرة، عن النصوص المقدسة الثابتة، وذلك في عودة عملية عن حالة الفصام العامة في خطاب التدين والصحوة، عندما نقوم بتجميد الدين ونغفل عن دراسة واقع المسلمين.

وقد كانت مقدمة الغزالي لكتاب (تحرير المرأة في عصر الرسالة) للمفكر الراحل عبد الحليم محمد أبو شقة، تصب في صناعة الوعي الثقافي وإحياء مفاهيم الوحي التي تصلح لكل زمان ومكان، والتي كان عليه رحمة الله أحد أهم فرسانها.

ومع التأكيد على المعرفة والحريات، نستطيع فهم الكثير من الموروثات والمسلمات بفكر حر وقناعة علمية، وهنا يحضرني حديث ناقصات عقل ودين، فقد روى مسلم في صحيحه في باب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة منهن جزلة : وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار ؟ قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير، وما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن. قالت يا رسول الله وما نقصان العقل والدين ؟ قال أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل. وتمكث الليالي لا تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين

إن الحديث الشريف يفسر بعضه بعضا، فمعنى جزلة أي : ذات عقل، أي : وقار ويكفرن العشير أي : يكفرن حق الزوج، وإذا أضفنا آية الدين (البقرة ٢٨٢) نفهم الشهادة والصلاة والصوم.

وتعجب رسول الله عليه الصلاة والسلام هو من قدرة النساء على غلبة الرجل ذا اللب أي الذكي جدا فهل في هذا ثمة مدعاة ليكون الحديث بحاجة للتبعيض ويكتفى بفقرة (ناقصات عقل) لتصبح مثلا سيارا في الثقافة الذكورية التي لا تعترف بالشراكة والأخوة والموالاة والتكامل والتآزر.

إن ثقافة الحوار والحرية والاختيار والتي تعتبر من مزايا التربية الحديثة هي المؤهلة لإزاحة ركام الغبار عن كنوزنا الحضارية في التربية والتعليم والإرشاد والتوجيه.

إن هذا الكتاب يسهم في فتح أقفال شتى ابتداء بموضوع سد الذرائع وانتهاء بفتنة (الفتنة) ومرورا بتقرير التنمية الشاملة الذي أصدرته

الأمم المتحدة عن واقع العالم العربي الآن، وضرورة تدعيم الوظيفة التربوية للأسرة إنما يتطلب المزيد من التثقيف التربوي للوالدين وللمعلمين والموجهين الغيورين والمهتمين والمثقفين والعاملين عليها، من أجل جيل راشد يتحمل المسؤولية ويحمل الأمانة ويتمسك بالمبادئ ويستوعب الدور والحاضر والمستقبل.

صحيح أن التخلف لا يتجزأ، وأن تربية المرأة من مظاهر تخلفنا، إلا أننا لن نيأس من محاولات الإصحاح والتصحيح، ففسحة الأمل أكبر من ضيق العيش والصلاة خير من النوم وأول الغيث قطرة و(إذا كان سنا البرق يبدو من التقاء سحب شتى فإن سنا الحق يبدو من التقاء آراء شتى) كما يقول الغزالي.

وكما تشكل التربية جوانب مهمة من الخبرة والتفاعل والفنون والحياة الإنسانية، فإن لوسائل التوصيل مستويات مباشرة وغير مباشرة لا بد أن تكون مقنعة للمربين يجيدونها بمهارة وينجحون بإيصالها فمن أهم وسائل التوصيل طريقة التدريس ونصية المنهج وملاءمته وجاذبيته وصوابيته.....

والتربية التي نرجو ليس لكونها واحدة من أهم العلوم الاجتماعية المعاصرة، بل هي الناطق الوحيد والناقل الوحيد للأهداف العليا للأمة المسلمة في إطار التعارف والتآلف وتقدم النموذج الهادي الآمن لبني الإنسان.

وأخيرا : ما هذه غير نقوش على هامش الفكرة، لا أريد لها أن تعكر صفاء الكتاب الذي يعتبر الأول في كشف هذا الجانب من فكر ودعوة الأستاذ العبقري الكبير محمد الغزالي.

لقد استفدت من الكتاب وأرجو أن يشاركني القراء ذلك فيستفيدوا منه ويعولوا عليه شاكرا للمؤلفين الفاضلين جهدهما المبارك النافع، وأدعوهما إلى موالاة البحث ومواصلة الجهد لتقديم أوراق إضافية تفيد أمتنا وديننا ومقاصدنا في إعادة اكتشاف الذات وصيانتها وتجلية الأسس المشرقة التي أرشد الوحي إليها من أجل صناعة الإنسان السوي المؤمن المستقيم ذكرا أو أنثى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وينسجم مع الكون والنشأة والمال.

إن دورا كبيرا ينتظر المرأة المسلمة، ومن متطلبات هذا الدور إعادة النظر بالأنماط العتيقة التي ورثناها كابرا عن كابر، وإحلال الثابت المتفق عليه من أصولنا التربوية المقدسة، إنقاذا للأرض وإسعافا لإنسانية (القوارير) وكرامتهن وعزتهن. وكما الآخر يعيد تشكيل نفسه فإن واجبنا أن نعيد تشكيل واقعنا وذكائنا. ورحم الله امرءا أهدى إلينا عيوبنا.....

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

عبد الله زنجير(*)

(*) مدير مجلس أعضاء مركز الراية للتنمية الفكرية، كاتب وإعلامي سوري، من مواليد عام ١٩٦٦م،مثقف مستقل يؤمن بالوسطية والحوار وبالفقه الحضاري وبإنسانية المشروع الإسلامي،من أعماله : الإعلام عالم، أفكار بلا أسوار، فواصل ثقافية، أوراق مسلم، عندما أفل الحب (قصص)، علي الطنطاوي على بصيرة.

توطئة[1]

هل قاد محمد الغزالي ثورة فكرية شاملة «بيريستوريكا إسلامية» لإعادة البناء الثقافي؟ هذا ما يراه بعض الباحثين[2] ولكن هل قدم الغزالي طرحاً جديداً في باب تربية المرأة؟

غير خاف أن الأستاذ الشيخ محمد الغزالي ترك تراثاً فكرياً زاخراً وهذا البحث يهدف إلى تتبع ما تركه هذا المفكر في أماكن متفرقة من كتبه بغرض توظيف ذلك النتاج في إثراء الساحة التربوية المعاصرة لا سيما في مجال التثقيف العام، والتجديد الاجتماعي. لقد ترك الغزالي ما يربو على الستين كتاباً في علوم متنوعة وهذه الكتب تمثل عصارة رحلة طويلة، وملاحظات هادفة سجلها في فترات مختلفة على مدار أكثر من ستين سنة وهو يتنقل في مؤسسات التعليم كعالم ومتعلم. هذا التراث الضخم بحاجة للرصد والتنقيب الدقيق لتحديد معاني التربية، ومعالم تعليم المرأة عند ذلك المفكر. من أجل الوصول لتلك الغاية المحددة سوف نتتبع في هذا البحث معظم كتب ومحاضرات الغزالي ثم نستعرض بعضها بغية إبراز الأفكار الرئيسة، وتحليل أبعادها الهامة، وتجلية مقاصدها العامة، وبيان وسائل الاستفادة منها.

---

(١) د. لطيفة الكندري عضو هيئة التدريس في كلية التربية الأساسية والمستشارة المحلية للمركز الشبه الاقليمي للطفولة والأمومة (وزارة التربية - اليونسكو) الكويت. د. بدر ملك نائب رئيس قسم الأصول والإدارة التربوية في كلية التربية الأساسية (الكويت).

(٢) أحمد عمر عبد الله، عبد الرحيم: فكر الشيخ محمد الغزالي في إطار مدرسة الإصلاح الإسلامي بمصر ص (٥٢).

يرى عدد كبير من الباحثين أن الغزالي قدم نظرات رائدة في مجال تجديد الفكر الإسلامي المعاصر فأفكاره تدل على سماحة الإسلام فيما يتصل بقضايا المرأة بينما يعتقد فريق من الباحثين أن بعض تلك الاجتهادات في غاية الخطورة ولا تخدم المجتمع المسلم المحافظ والأسلم إغفالها. رغم هذا التباين في وجهات النظر إزاء مواضيع محدودة إلا أن الكل يتفق على الدور الكبير الذي قام به الغزالي في العمل الإصلاحي على مستوى العالم الإسلامي ولا يستطيع أحد أن ينكر دراساته الأصيلة، ومواعظه البليغة، ومواقفه المشرفة، وجهوده المتميزة في خدمة التربية الإسلامية كنموذج وتطبيق.

نبذة عن حياة الغزالي

نشأ محمد الغزالي السقا (١٣٣٥ ١٤١٦ هـ = ١٩١٧ ١٩٩٦ م) في أسرة مصرية صالحة أحبت التصوف وعملت بالتجارة. كان والده حافظاً للقرآن الكريم وبذل الكثير من الجهد كي يكون ابنه عالماً فحفِظ الابن كتاب الله في الصغر ثم انتقل من «نكلا العنب» بمحافظة البحيرة إلى الإسكندرية ليدرس العلوم الدينية وعمره عشر سنوات. وتخرج الغزالي في الأزهر حيث تخصص في الدعوة والإرشاد ثم نال شهادة الماجستير سنة ١٣٦٢ هـ = ١٩٤٣ م فعمل بالوعظ وقام بالتدريس في الأزهر، وفي جامعة أم القرى في المملكة العربية السعودية، وجامعة قطر، وجامعة الأمير عبدالقادر في الجزائر.

نجد ترجمة الغزالي في كتب كثيرة[(١)]، ويمكننا أن نستنبط منها أهم العوامل التي أثرت في تكوينه الفكري وفيما يلي بعضاً منها:

١) تعلق الغزالي منذ طفولته بالقراءة فعشقها حتى أنه كان يطالع الكتب أحياناً وهو يتناول الطعام.

٢) أعجب الغزالي بأبي حامد الغزالي وابن تيمية من السابقين وبمحمد عبده ورشيد رضا من اللاحقين فأخذ يدرس أفكارهم العلمية والإصلاحية وفي كتبه خلاصة انتَخَلها واستخلصها من السابقين

(١) البيومي، محمد رجب في: النهضة الإسلامية في سير أعلام المعاصرين ج٣ ص (٤٠٠)، والعقيل عبد الله في: من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة ص (٥٢) والمص يوسف أحمد عبد اللطيف في: المبدعون مناهج مواقف منجزات ج١ ص (٥٧٧).

والمعاصرين ثم زاد عليها ما تيسر له. كما استفاد من كتابات وحلقات فطاحل الأزهر أمثال عبدالعظيم الزرقاني ومحمود شلتوت. وهكذا فإن مصادر فكر الغزالي متنوعة فتأثر بالمدرسة العقلية المعاصرة وبالأشاعرة وبمذهب السلف لكنه لم يلتزم بمنهج طائفة معينة[١].

٣) مارس الغزالي الإصلاح عملياً مع حسن البنا مؤسس جماعة «الإخوان المسلمون» فتركت صحبته عظيم الأثر في نفسه[٢]، وفكره، وسلوكه. قال الغزالي واصفاً أستاذه البنا «كانت لدى «حسن البنا» ثروة طائلة من علم النفس، وفن التربية، وقواعد الاجتماع، وكان له بصر نافذ بطبائع الجماهير، وقيم الأفراد، وميزان المواهب»[٣]. وهذه الجماعة النشطة رحبت بجهود المرأة في الدعوة، والإصلاح، والتثقيف. حركة «الإخوان المسلمون» حركة إصلاحية واسعة لها فلسفة تربوية واضحة، وإسهامات ثقافية متنوعة[٤]، واجه الغزالي مع أستاذه حسن البنا طائفة من المنن والفتن التي تصيب المصلحين في كل حين. يكشف الغزالي في **قذائف الحق** عن طرف من سيرته الشخصية حيث انتسب لتلك الجماعة في العشرين من عمره ومكث فيها قرابة سبع عشرة سنة، كان خلالها عضواً في هيئتها التأسيسية، ثم عضواً في مكتب الإرشاد العام[٥].

---

(١) القرضاوي، يوسف في: الشيخ الغزالي كما عرفته في رحلة نصف قرن ص (٨١)، العودة سلمان: حوار هادىء مع محمد الغزالي ص (٣٣).
(٢) انظر: (أبو شادي، ١٩٩٨م، ص ٣٢٤).
(٣) في موكب الدعوة ص (٢١٢).
(٤) صبح، محمد أحمد جاد: التربية الإسلامية دراسة مقارنة ص (٥٣٠).
(٥) قذائف الحق ص (٨١).

٤) اطلع الغزالي على أحوال العالم الإسلامي وشخَّص علله، وناقش الأفكار الحديثة، وحاول انتقاء المفيد منها. ولقد تألق الغزالي في معظم الأقطار الإسلامية حيث سافر وحاضر ونشر العلم وحاز الجوائز العلمية الرفيعة.

٥) أدرك الغزالي أهمية الكتابة والخطابة في تغيير المجتمع فجند كل طاقاته الطموحة لنشر الدعوة الإسلامية ومكافحة الفساد والظلم والجهل. لم يترك هذا المصلح الجهاد الفكري بالقلم، والدفاع عن القيم إلى آخر رمق في حياته، ودُفن جثمانه في البقيع بقرب قبور الصحابة الكرام وفي ذلك تكريم لكل داعية للإسلام.

كتب الغزالي ديوانه الشعري اليتيم **الحياة الاولى** عام ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٦ م وهو في بداية شبابه عندما كان طالبا في معهد الإسكندرية الثانوي ومحاولته المبكرة هذه لم يُكتب لها الاستمرار وكأن الغزالي وجد الخطابة والكتابة أقرب إلى قلبه فتوقف عن تدوين أشعاره وتوسع في تدعيم أفكاره من شعر غيره وسار على هذا النهج في كل كتبه. يضم ديوانه الشعري على تأملات عامة لمفهوم الإيمان والوطن والابتلاء والمرض والفضيلة والمجد.

اتبع الغزالي منهج علماء السلف فتخلق بأخلاقهم فكان يغير أفكاره بتواضع وشجاعة كلما زاد تحصيله أو تبين له بُعد قوله عن الصواب. كانت أفكار الغزالي ثورة على النفس قبل أن تكون ثورة على قيم راكدة شاعت بين الناس. قالت الباحثة هبة رؤوف: لقد نشأ الغزالي «في الريف حيث تحط التقاليد من شأن النساء فكانت كتاباته المبكرة متحفظة على مشاركة المرأة في المجتمع» ولكنه حين زاد وعيه بأوضاع المرأة المتردية نصر قضاياها[(١)].

---

(١) آل رشي، علاء: هكذا علمني محمد الغزالي ص (٥٠).

شهد العلماء المعاصرون بسعة علم الغزالي فالمتخصصون يؤكدون على إمامته في الدعوة والأدب والتفسير والحديث والفقه(١). يقول عبدالله الحنفي (١٩٩٦ م) لقد فتح الغزالي ملفا غنيا بالأفكار الأساسية، التي تشكل إجاباتها معالم الفكر الإسلامي الحر القادر على مواكبة الخطاب العالمي. قام الغزالي منذ شبابه بمحاربة الظلم الاجتماعي، وجاهد في تحرير المرأة باسم الإسلام(٢).

الدراسات السابقة

ناقش نفر غير قليل من الكاتبين أطروحات الغزالي إزاء قضايا المرأة(٣) فوجدوها متذبذبة ومتناقضة وضارة لا تخلو من التأثر بضغط الفكر الغربي(٤). خاض المنتقدون في مباحث فقهية عديدة وشككوا في مرتكزات فكر الغزالي.

يرى المنتقدون وعلى رأسهم ربيع بن هادي عمير المدخلي أن الشيخ محمد الغزالي قد حشر نفسه مع خصوم السنة النبوية المطهرة بل صار حامل لواء الحرب عليها وأصبحت كتبه تمثل مدرسة ينهل منها كل حاقد على الإسلام ومرد ذلك إلى قصور إدراكه لمعاني الأحاديث فيخيل له هذا القصور أنها تعارض القرآن أو تصادم العقل وقد يكون هذا العقل جهميا أو معتزليا أو غربيا. ويعترف الغزالي كما يقول المدخلي:

«بقوامة الرجل على المرأة على إغماض ومضض، ثم يقصر هذه

---

(١) القضماني، محمد ياسر: محمد فوزي، فيض الله العلامة الفقيه ص (٤٦)، الفلوسي، سعود: محمد الغزالي رائد منهج التفسير ص ( ).
(٢) عبد القدوس، محمد: في الدعوة والدعاة ص (٩٥)، ج٣.
(٣) السقا، أحمد حجازي: دفع الشبهات عن الشيخ محمد الغزالي، ص (٢٨).
(٤) العودة، سلمان: حوار هادىء مع محمد الغزالي ص (٢٣).

القوامة على البيت فقط وهو رأي في حدود علمي لم يسبقه إليه أحد. فالإسلام يفرض على المرأة أن لا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه. وفي مجال السياسة يرى الغزالي أن للمرأة أن تتولى المناصب العليا في الدولة فيقول : (وللمرأة ذات الكفاءة العلمية والإدارية والسياسية أن تلي أي منصب ما عدا الخلافة العظمى) ويقول عن أهل أوروبا يريد إذا أسلموا:

(وإذا ارتضوا أن تكون المرأة حاكمة أو قاضية أو وزيرة أو سفيرة فلهم ما شاؤا ولنا وجهات نظر فقهية تجيز ذلك) . فتراه لا يستثني من المناصب في الدولة إلا الخلافة العظمي ولا ندري ما دليله على هذا الاستثناء. وعلى كل حال فيجوز عنده أن تكون المرأة ملكة أو رئيسة جمهورية أو رئيسة وزراء أو وزيرة أو قاضية أو قائدة جيش . وهو بهذا الرأي يخالف إجماع الأمة ويخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم القولية والعملية، ويخالف عمل الخلفاء الراشدين . ويتعلق بقول شاذ يخالف كل ما سبق ذكره . ثم نسأله ما هي وجهات النظر الفقهية التي يزعمها ومن هم هؤلاء الفقهاء الذين سبقوه إلى هذا الرأي وما هي أدلتهم ولعل الرجل يشير إلى ما ذهب إليه أبو حنيفة من أن المرأة تقضي فيما تصح فيه شهادتها. فإن كان يرمي إلى هذا القول فشتان بين ما يقول الغزالي وبين هذا القول . ومع أن قول أبي حنيفة ضعيف لا دليل عليه فإنه لا يريد به منصب القضاء. وعلى كلٍ فإن قول الغزالي غريب جداً بعيد جداً عن الإسلام وعن أقوال أئمة الإسلام. وأدلته إنما هي أعمال الأوربيين وتقاليدهم وتقاليد من نهج نهجهم).

قرر المدخلي في نهاية بحثه الذي قد يعد أعنف نقد لفكر الغزالي

أن رؤى الغزالي لا تعكس الرؤية الإسلامية وقال « فإني أرى أن فكر الغزالي خطير جداً على الإسلام فهو امتداد خطير لشتى الدعوات الرهيبة: فهو امتداد رهيب للاشتراكية والديمقراطية، وامتداد خطير لدعوة قاسم أمين إلى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل في كل مجال». هذه النتيجة النهائية لا تختلف في حدتها مع نهاية دراسة أبي بكر جابر الجزائري وسلمان العودة وغيرهما من المعارضين بشدة لمبدأ تحرير المرأة. لقد أنكر هؤلاء أن تكشف المرأة وجهها، وأن تتولى المناصب الإدارية الرفيعة في المجتمع، وأن تشتغل في السياسة. يعتقد هؤلاء أن هذه مسائل محسومة شرعاً وليس من الحكمة مخالفة رأي السابقين في مثل هذه القضايا الحساسة.

الملاحظ لفكر المخالفين يجدهم قد اتفقوا جميعاً على رد اجتهاد الغزالي لأنه اجتهاد غير سائغ وبالتالي هو اجتهاد مذموم عديم الجدوى ويلام صاحبه لأنه استدل على آرائه بأدلة بدعية لا شرعية .

من الواضح أن الدراسات السابقة التي انتقدت الغزالي لم تجد أي فكرة وجيهة تستحق النظر في فكر الغزالي وعلى الأخص فيما يتصل بقضايا المرأة وسبل الإصلاح الاجتماعي بل على العكس فإن ذلك الفكر قد يزرع الفتن قطعاً ويجلب المفاسد يقيناً. المقالات العابرة والدراسات العميقة التي كتبها المخالفون لطرح الغزالي ترفض تماماً وصف «الفقه البدوي» وهو وصف استخدمه الغزالي[١] وفهمه غيره من المخالفين له على أنه إساءة لهم ويجب أن تتنزه المناقشات الموضوعية عن هذه السقطات والتشنجات.

لا يتفق كثير من الباحثين مع نتائج الدراسات السابقة إذ يعتقد

(١) السنة النبوية، ص (١٥).

بعض المتخصصين في تحليل ببلوغرافيا الخطاب العربي حول المرأة في القرن العشرين أن تيار الغزالي رغم التحديات الكثيرة إلا أنه يمثل تيار الإصلاح المعتدل في الخطاب الإسلامي[١].

كتب عويس (٢٠٠٠ م) فصلاً عن الغزالي وقضايا المرأة وتوصل إلى أن الغزالي قاد تياراً معتدلاً لإنصاف المرأة وتحقيق فعاليتها[٢]. وقام القرضاوي[٣] (١٩٩٧ م) بتتبع فكر الغزالي إزاء قضايا المرأة فوجدها رائدة ثم قدم فكرة عامة مليئة بالشواهد المنقولة من كتب الغزالي.

لقد تعقبت معظم الدراسات السابقة المسائل الفقهية التي طرحها الغزالي وقلما نعثر على تحليلات تربوية مكثفة وعميقة. لم تتحدث تلك الدراسات بصورة مفصلة عن سبل استثمار فكر الغزالي في عملية توجيه وتجديد التراث والوعي الجماهيري عبر القنوات التعليمية.

من الدراسات الهامة في موضوع دراستنا دراسة للباحثة العراقية سهيلة الحسيني (١٩٩٨ م). «وفي ذكرى رحيله أصدرت الكاتبة والباحثة العراقية «سهيلة الحسيني» كتابًا بعنوان «المرأة في منهج الإمام الشيخ الغزالي» تحكي في مقدمته عن علاقتها الأسرية بالشيخ الغزالي، وكيف أنها تربت في مدرسته الفكرية، وأقامت معه ومع أسرته الصلات الروحية التي استمرت السنوات الطوال حتى كانت أثيرة لديه يخصها بالرعاية والاهتمام» (سعداوي، ٢٠٠٤ م).

---

(١) صالح، أماني وأبو المجد، زينب ومصطفى، هند (المرأة العربية والمجتمع في قرن) ص (١١٥ ـ ١٢١ ـ ٤٨١).
(٢) عويس، عبد الحليم: الشيخ محمد الغزالي تاريخه جهوده وآراؤه ص (٦١ ـ ٧١).
(٣) القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته ص (٢٠٨ ـ ٢٠٩ ـ ٢١٧).

أكدت الأستاذة سهيلة أن الغزالي قام بالدفاع عن المرأة منذ بداية الخمسينات إلى آخر حياته[1]. وتوصلت الباحثة إلى مجموعة نتائج متفرقة في ثنايا كتابها القيم ومن تلك النتائج أن الغزالي يرى:

١ ـ إقامة دروس في المساجد خاصة بالسيدات في أوقات الصباح لتعود للمسجد قيادته الأولى في قيادة المجتمع.

٢ ـ تقف المرأة على قدم المساواة مع الرجل في الغَرف من معين التربية والعلم أيضاً.

٣ ـ رفض تقاليد الشرق المجحفة والغرب المسرفة لأنها لا تصون شخصية المرأة.

٤ ـ عدم إقحام المرأة في أعمال تذيب الأنوثة.

٥ ـ لا يمنع الإسلام الاختلاط إذا كان محكوماً بأسيجة العفة والفضيلة.

كما قامت هبة رؤوف عزت (١٩٩٧ م) بدراسة «الحق المر: الشيخ الغزالي وقضايا المرأة» فوجدت أن الغزالي كان في الستينات يؤكد على أولوية عمل المرأة داخل بيتها ولكنه في الثمانينيات وبعد طول خبرة «يسعى إلى إيجاد توازن بين مسئولية المرأة داخل أسرتها ومسئوليتها تجاه قضايا الأمة»[2]. يرى الغزالي كما تقول الباحثة: «أن مستقبل الإسلام رهن بإعادة النظر في قضايا عديدة، منها قضية المرأة، وأن التضييق كان مدخلاً لأعداء الدين لكي ينفذوا إلى المجتمع الإسلامي»[3] وهذا الرأي

(١) الحسيني، سهيلة: المرأة في منهج الإمام الغزالي ص (١٥).
(٢) عزة، هبة رؤوف: الحق المر، الشيخ محمد الغزالي وقضايا المرأة ص (٩٥).
(٣) المرجع السابق ص (٩٤).

في تحرير النساء (Women's Emancipation) يتطابق تماما مع نظرات عدد من المفكرين داخل العالم الإسلامي وخارجه (Hofmann, 1996, p. 41 & Lang, 2000, p. 113) بينما يتحفظ البعض على الفكرة من أساسها (يس، ٢٠٠٣ م).

مشكلة البحث، والحاجة إليه

تشهد الدراسات النسوية اهتماماً بالغاً في معظم بلدان العالم وعلى المستويين الرسمي والشعبي لأنها تعمل على حماية الحقوق الإنسانية وتعمل بصورة متواصلة لتحسين واقع المرأة. ويسعى العاملون في الفكر التربوي الإسلامي المعاصر إلى بناء حقل لدراسة قضايا المرأة المسلمة من منظور نقدي، وهدف إصلاحي، وإطار شرعي. ومن دواعي تأسيس هذا الحقل العلمي مواجهة إشكاليات التراث، وتحديات الحداثة من خلال النقد الذاتي، ومواجهة الخطاب الغربي، وتحقيق النهضة دون تغليب البديل الغربي الراديكالي. لقد طالب الغزالي بضرورة تصحيح النظرة اتجاه المرأة وحقوقها وانتقد بشدة بعض التقاليد المحسوبة على الإسلام وهي ليست منه وحاول تقديم الصورة الصحيحة للمرأة في الإسلام هناك إشارات متفرقة في حقل الدراسات النسوية تشير لكتابات الغزالي[1] مما يؤكد وجود رؤية إصلاحية تحتاج لمزيد من الرصد لتعميم النفع منها ولإبراز معالمها كأصول اجتماعية للتربية. ينادي المتخصصون في الحقل التربوي بتطوير منظور أصيل يحقق العدالة الاجتماعية للمرأة المسلمة ويعيد «بناء الفكر الإسلامي». كما أن كبار المفكرين يؤكدون على أن معالجة مشكلة المرأة من شروط النهضة المنتظرة[2]. وتنادي النخب الثقافية في العالم العربي بوضع ميثاق إصلاحي يحدد الأولويات

(١) أبو بكر، أمينة وشكري، شيرين: المرأة والجدار ص (٣٢ ـ ٢١٩)، زين العابدين سهيلة: المرأة وقضايا الإصلاح.
(٢) بن نبي، مالك: شروط النهضة ص (١٢٣).

ومنها «ضرورة معالجة وضع المرأة»[١].

توضح تقارير التنمية الإنسانية العربية (٢٠٠٢ ٢٠٠٣ م) الصادرة من الخبراء العرب تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة أهمية تجاوز نواقص ثلاث:

١. في المعرفة،

٢. والحرية،

٣. وتمكين النساء من أجل تنمية بشرية سليمة ومجتمع أساسه المعرفة.

المعرفة النسوية في المنظور الإسلامي هي معرفة نامية تتجه بالنقد والمراجعة لفهم الواقع القائم والأنظمة الاجتماعية والبنى المعرفية والعلمية، كشفا عن مواطن القصور والغبن والانحياز في ضوء المرجعية الإسلامية المبرأة عن التحيز والظلم. التحليل والتفكيك للمعرفة المعاصرة والأنظمة السائدة هو أحد وسائل تلك المعرفة، ولكنه ليس هدفها الوحيد. «فكما أن النساء هنَّ جزء من الجماعة الإنسانية وسيظللن كذلك؛ فإن المعرفة النسوية هي جزء من بنية المعرفة الإنسانية تتغذى منها وتغذيها.

النقد والتفكيك من المنظور النسوي الإسلامي يهدف إلى الإصلاح وليس الهدم.. إلى إزالة مواطن العلة في الجسد الكلي للمجتمع والعلم، وليس إلى قتل ذلك الجسد»[٢]. وتؤمن تلك الحركة النسوية الإسلامية أن

---

(١) هويدي، فهمي: بحث عن الاجماع الوطني في جريدة الوطن الكويتية العدد (٦٩٤) ص (٢٣).

(٢) صالح، أماني: نحو منظور إسلامي للمعرفة النسوية، موقع إسلام أون لاين.

«الظلم الواقع على النساء في العالم الإسلامي إنما يرجع إلى منظومات المعرفة البشرية التي نسجت حول الدين، واكتسبت قداسة مزعومة من مجرد اقترابها منه رغم بشريتها الأصلية.

إن كثيرًا من أهل العلم من النساء والرجال الذين يقتربون من تلك المعارف لا يملكون سوى الدهشة من مقدار الانحياز الذي لا ينبني إلا على الرأي والتوجه المسبق والأعراف في تأويل النصوص وبناء الأحكام فيما يخص المرأة. إن حركة إنصاف المرأة تسعى إلى تفكيك التاريخ البشري عن النصوص المقدسة الثابتة، وتطهير الأصول مما ألصق بها من عناصر بشرية تأويلية، وبناءات فكرية مصدرها الحقيقي هو الأعراف والآراء والانحيازات البشرية[١].

هناك خلاف حقيقي بين المسلمين حول رسالة المرأة[٢] وفي هذه الجدلية التربوية يرى فريق أنه من حق المرأة أن تتعلم إلى أقصى درجات التعلم وأن تكون عضواً فعالاً في حياة المجتمع الثقافية والسياسية، بينما فريق يقلل من هذا الشأن بصور شتى وباسم العادات تارة أو تحت مظلة اجتهادات فقهية قد تبدو متعسفة تارة أخرى. إننا مدعوُّون إلى العمل الحثيث لمعالجة وضع المرأة المسلمة مما هي فيه اليوم من ضياع بين دعوات التزمت، وأعاصير التفلُّت (السباعي، ٢٠٠٣ م). يقر

(١) صالح، أماني: نحو منظور إسلامي للمعرفة النسوية، موقع إسلام أون لاين.
(٢) غزاوي، زهير: ملامح النظرية الاجتماعية ص (٧١)/ المهريزي مهدي: المرأة في الإسلام وإيران ص (١)، السعداوي، نوال وعزة، هبة رؤوف: المرأة والدين والأخلاق ص (٨)، القصيبي، غازي عبد الرحمن: ثورة في السنة النبوية ص (٢٢٥)، سبوزيتو، جون، ل تقديم: النساء في الإسلام والمجتمعات الإسلامية ص (١٢).

المتخصصون في التربية الإسلامية أن الجهل الذي كان يغلف معاملة المرأة المسلمة أوجد انحرافاً خطيراً مازلنا نعاني منه[١]. «وهناك جنوح واضح لدى قطاعات كبيرة من المسلمين، ومنهم المشتغلون بالإسلام وللإسلام، إلى تقزيم المرأة وتصغيرها»[٢].

تقول سهيلة زين العابدين (٢٠٠٤ م) وهي تصف في تقرير مرير واقع المرأة في المجتمعات الإسلامية عامة والمجتمع الخليجي خاصة:

لو نظرنا إلى واقع المرأة المسلمة المعاصر في مجتمعاتنا الإسلامية يجد أننا في ردة عن الإسلام فيما يختص بحقوق المرأة بنسب متفاوتة، أجل نحن في ردة عن الإسلام ، وقام الكثير ممن بيده إعطاء هذه الحقوق تعطيل نصوص قرآنية وحديثية قطعية الدلالة تمنح المرأة هذه الحقوق معطياً للأهواء والأعراف والعادات والتقاليد الأولية على النصوص الشرعية ، ولو حصلت المرأة المسلمة على كامل حقوقها كما في الإسلام، ونُظر للمرأة نظرة الإسلام لها ، لما وصلنا إلى هذه الحال التي نحن عليها الآن. . . إنَّ صلاح المرأة في المجتمع مرهون بنظرته للمرأة ،فإنْ نُظر إلى المرأة النظرة القائمة على أنّها ناقصة الأهلية ،وتُعامل معاملة القاصر على الدوام ،وأنَّها محط كل فتنة وكل شهوة ،ومنبع كل فساد ، وأنَّه ينبغي حبسها داخل بيتها ،وتُحرم من حق المشاركة في الحياة العامة ، ولا ولاية لها ، كما ينظر لها المتنطعون في مجتمعنا ، واستمرار هذه النظرة ،وتمكن هؤلاء المتنطعون من الحيلولة دون حصول المرأة على كامل حقوقها في الإسلام، سيكون هلاكنا ،

(١) قطب، محمد: منهج التربية الإسلامية ص (٣١٦) ج٢.
(٢) حتحوت، حسان: بهذا ألقى الله ص (٨٨).

لأنَّ هؤلاء بتنطعهم سيفسحون المجال لأعدائنا للنفوذ إلينا من خلال المرأة ، واتخاذها ذريعة للتدخل في شؤوننا بدعوى «تحرير المرأة" ، يجب أن يدرك هؤلاء أنَّ هناك ضغوطاً دولية علينا ، وأنَّه لا وقت لدينا لنجادل ونناقش حتى يقنع هؤلاء المتنطعون بما للمرأة من حقوق في الإسلام» (باختصار وتصرف).

يقول الأستاذ عمر عبيد حسنة (٢٠٠٤ م):

مما لا شك فيه أن قضية المرأة، وموقع المرأة في الحياة الإسلامية، وخاصة في عهود التخلف، تحكم فيها أكثر من عامل، واختلطت فيها المفاهيم، والتبست العادات السائدة، في بعض المجتمعات الإسلامية، بالأحكام الشرعية، حتى لنكاد نقول: إن كثيرا من العادات قد ألبست الثوب الإسلامي، واعتبرت من الدين، أو اعتبرت دينا لدرجة غابت معها الصورة العملية للمرأة المسلمة، وعلى الرغم من العنوان الإسلامي، لكثير من الأسر، إلا أن الثقافة الجاهلية، تضغط على تصرفاتنا، تجاه المرأة بين التسيب المطلق، والتشدد، الذي قد يفقدها إنسانيتها، الأمر الذي ينأى عنه دين الله عز وجل ويأباه شرعه. . .

ولا شك أيضا أننا أوتينا من قبل المرأة، وغزينا من طريق الأسرة، وأقمنا المعارك لحماية حدودها، والحيلولة دون اقتحامها، لكننا عدنا إلى الأسرة المسلمة، فلم نجدها، لم نجد المرأة المسلمة فعلا، والطفل المسلم، والتربية الإسلامية، والممارسة الإسلامية، وكثير منا تأبى عليه نفسه وثقافته، أن يعطي المرأة المسلمة دورها، في الحياة، الذي مارسته زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، من التعليم، والرواية، والمبايعة، والمشاركة في الجهاد، ومعرفة الحياة، وإلا

فكيف يمكن لها أن تقوم بدورها وتؤدي رسالتها، ويعد أطفالها لعصر لا تدرك طبيعته، ولا تعرف مشكلاته، ولا تشارك في قضاياه؟!.

ويصور يوسف بن عيسى القناعي[١] حال المرأة قديما فيقول:

«ليس للمرأة قيمة عند الرجال سيما المتقدمين منهم فهي عندهم من سقط المتاع، فإذا ذكرت في خطاب قال المتكلم لمخاطبه: أكرمك اللّه عند ذكرها. وترغم الفتاة على زواج من لا تريده سيما إذا كان الزوج ابن عم لها، وإن كان قبيح الوجه ساقط الأخلاق. والذي بلغ من العمر ٨٠ سنة له أن يتزوج بنتاً لها من العمر ٢٠ سنة ويرغمها الولي عليه إذا كان غنياً، وإن كرهت عشرته.

وتجد في الوصايا حرمان الإناث، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، فإذا أوقف ملكاً على ذريته خصصه بالذكور دون الإناث وإن كن أولى بالإحسان لفقرهن. وإذا أوصى بثلث في سبيل الخيرات جعله بيد الولد دون البنت، وإن كانت هي أتقى منه وأصلح.

وسعادة الزوجين بعد الدخول نادرة فهي من باب يا نصيب يكسب مرة ويخسر ألف مرة لأنه لا يراها ولا تراه، وكلا الزوجين لا يعرف من أخلاق زوجه شيئاً» (بتصرف يسير من كتاب الملتقطات).

يقول مصطفى الغلاييني (٢٠٠١ م) في كتابه عظة الناشئين إن «جماهير نساء الشرق اليوم وقبل بضع مئات من السنين قد أهملت كالسوائم. فقد ظن الرجال أن المرأة آلة في أيديهم، يديرونها كيف شاؤوا، زاعمين أنها لم تخلق إلا لتخلق أسيرا أو مملوكة، واهتضموا

---

(١) مؤسس التعليم النظامي في المدرسة المباركية في دولة الكويت (انظر موقع القناعات: http://www.alqenaei.net).

ما لها من الحقوق الشرعية والطبيعية، وحرموها التعليم والتربية. فساءت بذلك الحياة البيتية وفسدت الأسرة، وانحطت الجماعات بانحطاط الأفراد»[١].

ليس من الغريب أن يضل الغرب في شئون المرأة فالتحريف أصاب الكتب السماوية السابقة، ولكن العجب أن الأمة الموحدة الوسطية تكتب في قواميسها من مثل **تاج العروس**[٢] أن «الحذاء: الزوجة لأنها موطوءة كالنعل».

كيف نضل وعندنا المحجة البيضاء؟

كيف نقزم المرأة وعندنا وحي السماء؟

كيف والرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بالنساء؟

إن الكتب التي ألفت في قضايا فقهية فرعية تعادل آلاف المرات الكتب التي كتبت عن قتل الشرف وعن تحجيم دور المرأة وعن ضرب وقهر واستعباد الزوجة قولا وعملا واعتقادا. إن الصور التراثية المشرقة في تراثنا عن إسهامات المرأة المسلمة وهي كثيرة ورائعة لن تشفع لمن يريد أن يغض الطرف عن التحديات الضخمة التي مازالت تواجه المرأة المسلمة.

ومن الأهمية بمكان مواجهة العادات الراكدة والمعتقدات الجامدة التي تهدف إلى حجب المرأة عن المشاركة الإيجابية في خدمة المجتمع وتمنعها عن نيل حقوقها الدستورية. إن الدراسات الأكاديمية لا بد أن تكشف صور الاستبداد والقسوة التي قد تتعرض لها النساء دون مبالغة،

---

(١) ص (١٢٦).
(٢) العلوي، هادي: فصول في المرأة ص (٣٦).

كما يقع على عاتق الباحثين فضح الحركات المستوردة التي من شأنها إفساد قيم المجتمع المسلم. إن تجاوز هذا المأزق التاريخي يتطلب استطلاع المحاولات الإصلاحية المعاصرة المهتمة بتعميق مفهوم العدالة الاجتماعية كنظرية وتطبيق لإثراء عملية البناء التربوي.

وقد دوَّن الغزالي في كتابه **الحق المر** سلسلة خواطر متناثرة عن قضايا المرأة وحدد موقفه من النهضة النسائية الحقة كما يراها فقال أنه وغيره من العلماء «مشغولون بالنهضة النسائية المعاصرة نفرح لاستقامتها ونأسى لعوجها، ونتفرس فيما تنقله عن الحضارة الحديثة كي نميز الخبيث من الطيب، ونضمن مستقبلا طهورا .. إنني أعترف بأن المرأة لم تعامل بتعاليم الإسلام خلال قرون مضت!»[١]. وشهادة الغزالي تطابق تماما شهادة القرضاوي في أن المرأة المسلمة أقصيت إقصاءً حاسماً عن المساهمة الحضارية[٢].

يدعو المتخصصون في الفكر الإسلامي المعاصر وفي قضايا المرأة إلى ضرورة تتبع منهج الغزالي في إيقاظ العقل وإثراء الفكر المعاصر. تنظر الموسوعات الأكاديمية العالمية إلى الغزالي كمصلح اجتماعي يطالب بفتح ميادين العمل لإسهامات المرأة ويقدم الأدلة الدينية والعقلية ليبرهن سلامة توجهه (Ayubi, 1995, vol.2. p.64) ولكن هذه المصادر لا تبين بالتفصيل معالم الحركة الإصلاحية في فكر الغزالي وتكتفي بالإشارة إلى أهمية أفكاره في قضايا المرأة دون تحليل الأبعاد التربوية المرتبطة بها ودون ربط منطلقاتها بمصادر التربية المعاصرة وأدبياتها المتنامية.

---

(١) ج١، ص (١١٦)
(٢) أبو شقة، عبد الحليم: تحرير المرأة في عصر الرسالة ج١ ص (٢٠).
(٣) أبو شقة، عبد الحليم: نقد العقل المسلم ص (٧٦).

منهج البحث وأسئلته

يوظف هذا البحث المنهج التحليلي الاستنباطي من خلال رصد أهم الآراء المتعلقة في موضوع تنشئة المرأة وتحليل مضامينها التربوية من أجل الحصول على صورة عامة متكاملة تعكس فكر الغزالي عموماً في هذا المضمار. إن استقراء الأدبيات سيساعدنا في استنباط وانتقاء التطبيقات التربوية التي من شأنها أن تساهم في عملية تفعيل دور المرأة المسلمة حضارياً وبما ينسجم مع فلسفة الغزالي.

ستقوم الدراسة الحالية بتتبع موضوع تربية المرأة واستقرائه من مظانه أي كتب الغزالي وأشرطته السمعية ـ وجمع المعلومات المتعلقة به من هذه المظان وذلك من خلال تتبع الجزئيات أو معظمها للوصول إلى الكليات أو حكم عام يشملها وهو منهج إسلامي أصيل استخدم في علم الأخلاق والآداب وتدوين المعارف[١] أما المنهج التحليلي فإنه يهتم بتحليل أهم ما ظفرنا به بعد دراسة النصوص والأفكار.

المنهج الاستنباطي هو الاستنتاج العام للمبادئ المستخلصة بعد عملية بحثية منظمة موثقة[٢].

ونظراً لكثرة كتب الغزالي، وندرة الشروح والتعاليق التي قام بها

(١) حبنكة، عبد الرحمن حسن: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال ص (١٨٨).

(٢) قلعه جي، محمد رواس: طرق البحث في الدراسات الإسلامية ص (١٦ ـ ١٧)، يالجن، مقداد: مناهج البحث وتطبيقاته في التربية الإسلامية ص (٢٢ ـ ٢٦).

الباحثون في حقل التربية لتوضيح معالم تنشئة المرأة عند الغزالي بصورة مترابطة مستقلة مفصلة فإن دراستنا الحالية ستتصدى للإجابة عن القضايا التالية:

١ ـ ما المقصود بالتربية والتعليم والتثقيف عند الغزالي؟

٢ ـ ما المنطلقات التي ارتكز إليها الشيخ الغزالي في نظرته لتربية المرأة في ظل التحديات المعاصرة؟

٣ ـ ما موقف الشيخ الغزالي إزاء تحديات تربية المرأة وتعليمها؟

٤ ـ كيف يمكن الإفادة من آراء الغزالي في تصحيح نظرتنا للمرأة تربية، وتعليماً، وأدواراً، في مناهجنا التعليمية؟

ستكون المحاور التالية محاولة منهجية للإجابة عن الأسئلة السابقة.

المحور الأول: التربية عند الغزالي

نظر الغزالي للتربية نظرة عملية عميقة نابعة من السياق الثقافي العام إذ أخذ يتتبع مدى تأثير قلة الوعي التربوي على واقع المجتمعات العربية المتردية وأثناء ذلك ذكر أكثر من تعريف للتربية والتعليم والثقافة وأشار لبعض وسائل التأديب مع بيان واضح للأهمية السامية للتربية في رقي الأمم ونشر القيم.

يعد كتاب **الإسلام والأوضاع الاقتصادية** أول كتب الغزالي المنشورة حيث كتبه عام ١٩٤٧ م وحاول فيه ربط التربية بحركة المجتمع وقام بنقد الواقع وأشار إلى أن شئون الزواج والأسرة تحتاج إلى وزارة مستقلة وطالب بضرورة تمهيد طريق الفضيلة[١]. لاحظ الغزالي شيوع ثقافة الخنوع المنتشرة في جماهير المسلمين فوجد أن الفهم السقيم لمفهوم الإيمان بالقضاء والقدر يسوغ الكسل والشقاء والفقر والجهل. وكتب المؤلف فصلاً ناقداً عن التعلم ولم يطنب في مدح العلم في تعاليم الإسلام ولكنه لام الأمة المسلمة التي لم تترجم فضيلة العلم إلى ساحة العمل فكتب «بمقدار ما مدح الدين العلم، بمقدار ما تهاوى المسلمون في الجهل!! فما حولتهم نصائحه بدوراً ولا شموساً»[٢]. وبذلك أنكر الغزالي الفصام الذي يعيشه بعض العلماء عندما يمجدون الدين ويغفلون عن دراسة واقع المسلمين.

---

(١) ص (٤٧).
(٢) ص (٦١).

يركز العلماء دائما على العلوم الشرعية وهي محل الثناء في الشرع أما العلوم الأخرى فحكمها بحسب نفعها وضررها[١]. يتوسع الغزالي في الحض على العلم الشرعي وغيره ويرى أن الثناء والمدح في الإسلام يشمل كل شخص مخلص يتعلم العلوم النافعة طالما أنه يخدم نفسه ومجتمعه والآيات والأحاديث تشير إلى التزود من المعارف المفيدة أياً كانت[٢]. رسم الغزالي الإطار التربوي لمشروعه وأكد على ضرورة تفعيل دور المرأة فهي شقيقة الرجل وطلب العلم بمعناه الشامل فريضة عليها (**الإسلام والطاقات المعطلة**، ص ١٦٨). ويرى الشيخ أيضا « أن علومنا التقليدية بحاجة إلى إعادة النظر في طريق تدريسها» (**مستقبل الإسلام**).

نجد في **محاضرات الشيخ محمد الغزالي في إصلاح الفرد والمجتمع** أن التربية في بلادنا الإسلامية لم تحسن استغلال مواهب الشباب[٣]. ويرى الغزالي أن التربية هي التزكية «والتزكية: هي البحث عن كل عيب في النفس الإنسانية ووقفه واجتثاث جذوره، ثم يجيء بعد هذا تكميل النفس الإنسانية بالكمالات الإنسانية» وفي تعريف مشابه يقول المؤلف أن التربية هي «أن يستجمع الإنسان الفضائل التي لا بد منها للكمال الإنساني»[٤] وعلماء التربية يؤكدون على أن التوسط في الأمور هو الفضيلة[٥]».

ويحدد الغزالي وبلغة موجزة غاية التعليم فيقول «إن مراتب التعليم المختلفة هي مراحل جهاد متصل لتهذيب العقل وتقوية ملكاته، وتصويب

(١) ابن العثيمين، محمد بن صالح: كتاب العلم ص (٨).
(٢) خلق المسلم ص (٢٠١).
(٣) ص (١١١)
(٤) ص (١٣٨ ـ ١٤٠).
(٥) كفاح دين ص (٢٤٥).

نظرته إلى الكون والحياة والأحياء. فكل تعليم يقصر بأصحابه عن هذا الشأو لا يؤبه له»[1].

وتحدث الغزالي عن تثقيف المرأة وعرف التثقيف فقال: «هو تفتيق الذهن والمواهب وتصحيح فكرة الإنسان عن الكون والحياة وتعهد سلوكه بما يلائم الحق والواجب»[2].

قام الغزالي في كتابه **صيحة التحذير من دعاة التنصير** بالتأكيد على أن التربية نشاط شعبي قبل كل شيء ولا بد من تغيير التقاليد السيئة والأوهام الشائعة[3]، ويرى في كتابه **نظرات في القرآن** أن التربية الناجحة تحتاج إلى البيئة السليمة ويقول «والتربية المنشودة ليست دروسا تلقى، إنما هي جو يصنع، وإيحاء بغزو الأرواح باليقين الحي والعزيمة الصادقة»[4]. لقد أشار الغزالي في **كفاح دين** إلى موضوعات ثقافية هامة مثل دور الجامع الأزهر في البناء العلمي للأمة[5] كما كتب عن مساوئ التعليم[6] والدور التربوي للإذاعة والفن[7] وضبط النفس[8] والكبت بين أدب التربية ومناهج الانحلال[9] مما يدل على إيمان الغزالي بالتغيير الشامل ورفضه لحصر نطاق التعليم والتثقيف في دائرة المدارس.

---

(١) فقه السيرة ص (٥٧).
(٢) من هنا نعلم ص (١٦٦).
(٣) ص (٢٤ ـ ٢٥).
(٤) ص (٩٤).
(٥) ص (١٨٤).
(٦) ص (١٧٣).
(٧) ص (٢١٥).
(٨) ص (٢٣٢).
(٩) ص (٢٤٣).

وكما تحدث الغزالي عن معاني التربية فإننا نجده يولي وسائل التربية اهتماماً كبيراً. لا يحبذ الغزالي فكرة نبذ العقاب البدني تماماً وينتقد التربية الحديثة لأنها ألغت الإيذاء المادي ويرى في كتابه مع الله أن التمثيل والمسرح والأدب الروائي وسائل دخيلة لا تحقق غاية إنسانية لكن المؤلف لا يفرض رأيه على غيره في هذه المسائل التي تختلف فيها الأذواق ويقرر قاعدة «ليس كل دخيل يستراب فيه»(١). ومن المعلوم أن التربية الإسلامية المعاصرة تشجع التمثيل المسرحي الهادف المفيد في المدارس وذلك لأثره الإيجابي في تقريب المعاني(٢).

يعتقد الغزالي جازما أن تشكيل ثقافة الأفراد من أهم أسباب نهضة الأمم ومن أجل ذلك فلا بد من إعداد الدعاة إعداد متكاملا مع مراعاة العناصر التالية في كل داعية:

١ ـ أن يكون ذا ثَرْوَةٍ طائلة من الثقافة الإسلامية والإنسانية.

٢ ـ أن يكون مُلِمًّا بأساسيات التاريخ الإنساني وطرف من علوم الكون والحياة، والثقافات الإنسانية المُعاصرة التي تَتَّصِل بشتَّى المذاهب والفَلْسَفات.

٣ ـ ويحتاج الداعية المسلم في هذا العصر إلى بصر بأساليب أعداء الإسلام على اختلاف مَنازِعِهم، سواءً كانوا مُلْحِدين يُنْكِرون الألوهية أو كِتابِيِّينَ يُنْكِرون الإسلام.

وعن تربية الأطفال يقول الغزالي في الحق المر أيضا «الطفولة صفحة بيضاء يخط فيها الآباء والأساتذة ما شاءوا»، ويطلب تقليل

---

(١) ص (٣٢٠).
(٢) جبرين، عبد الله: الأجوبة الفقهية على الأسئلة التعليمية ص (١٣١).

الأفلام الكرتونية المعروضة للطفل مع زيادة حفظ ما تيسر من كتاب الله لتنشيط الذاكرة كما يحذر من الاعتماد على العصا لأنه «عبث ضار»[١]. يذكر الغزالي «أن تنشئة كل مولود على أقساط من العلم تجلو عقله، وتصون فطرته، وتفتح مداركه، وتنمي مواهبه أخذت طريقها المستقيم في الغرب. أعني أوربا وأمريكا حيث نسبة الأمية صفر! فإذا نقلنا نظام الإلزام الصارم من هناك، وطبقناه في بلادنا كان ذلك عملاً أرشد وطريقاً أخصر .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[٢] والفرض يعني الإلزام .. وقد اضطربت وسائلنا في العصور الأخيرة في تنفيذ هذا الإلزام حتى ارتفعت نسبة الأمية في البلاد الإسلامية إلى حد يبعث على الزراية والأسى». ولا حرج علينا قط أن نستعين بالوسائل التي جربها الآخرون إذا كانت تسعفنا في بلوغ غرض مقرر عندنا[٣]. إذا كان القابسي قد أشار لما يمكن أن يعني إلزامية التعليم فإن القوانين لم تسن في المجتمعات العربية لمواجهة خطر الأمية حتى جاء الغرب.

يؤمن الغزالي في كتابه **الحق المر** أن العمل السياسي لطلب الحكم يجب أن لا يستغرق إلا ١٪ من العمل الإسلامي الصحيح أما ما تبقي من جهد فيجب أن يُصرف في إصلاح الأخلاق المتردية التي تملأ بلادنا بالعقد ومن الشئون التي تحتاج للإصلاح تقاليد الزواج والطلاق ويصرح المؤلف بأنه مرتاب من قدرة وخبرة مَن يريد الوصول للحكم وهو لم

---

(١) ج٤، ص (٧٣ ـ ٧٤)

(٢) قال الألباني في **مشكاة المصابيح** صحيح وزيادة «ومسلمة» لا أصل لها البتة، وأما زيادة: «اطلبوا العلم ولو بالصين» «فباطلة» (رقم الحديث: ٢١٤، انظر **الدرر السنية**).

(٣) معركة المصحف ص (١٣٣).

يباشر إصلاح الفوضى في المجتمع[١]. الأمة التي تفقد التربية السليمة لا تحقق شيئاً، ولن تنجح الثورات لعلاج المشكلات[٢] وعلينا كما يقول الغزالي «أن نعرق في تزكية النفوس بالأخلاق العالية، وفي دعم المجتمع بالتقاليد الصالحة»[٣].

العناية بالنفس أساس إصلاح الأوضاع والتربية عملية منظمة لا تعترف بالارتجال بل تتطلب رؤية سليمة وخطوات ثابتة تبدأ من الداخل. قال الغزالي « إن الهزيمة تجيء من داخل النفس قبل أن تجيء من ضغوط الأعداء، ولسنا أول أمة ابتليت، وفرض عليها أن تكافح لتحيا كما تريد»[٤].

عالج الغزالي نهاية كتابه **قذائف الحق** مجموعة مسائل تربوية في غاية الأهمية ووجد بعد البحث والتنقيب أن العلة غالبا في طرائق تدريس المناهج لا في المناهج التعليمية نفسها ففي مدارسنا وجامعاتنا مناهج متقدمة أحيانا ولكن طرائق التعليم لا تواكبها[٥]. المشكلة هي أن «المادة العلمية شيء، وأسلوب تقديمها وتلقيها شيء آخر»[٦]. ويدون الغزالي تجربته مع لجنة من لجان تطوير المناهج الدراسية في مصر ويبين لنا أنه اختار العمل في اللجنة المعنية «بالجو الذي يسود المدرسة»[٧]، ويعلل

---

(١) ج٥، ص (١٣)، ج٣ ص(١٩٨).
(٢) ج٢، ص (١٢٣).
(٣) ج٤، ص (١٦٦).
(٤) مستقبل الإسلام.
(٥) ص (٢٧٩، ٢٩٩).
(٦) ص (٢٧٩).
(٧) ترى التربية الحديثة أنه يجب قياس «الجو المدرسي» (Measuring School Climate) فالمدرسة التي تتمتع بمناخ صحي يتعامل أفرادها بصورة ديناميكة،=

ذلك بأن التربية المدرسية هي الدعامة الأولى للإفادة من العلم المبذول ولاكتشاف المواهب. ولكي يتهيأ الجو الديني المدرسي المنشود ذكرت اللجنة التي شارك فيها الغزالي ٣٩ توصية قيمة لتحقيق المطلوب. عرَّف الغزالي التربية وحدد أركانها فقال أن التربية هي الإفادة من التقدم العلمي «لتزكية الشخصية وتهذيب سلوكها"، والأصل في التربية تعهد الأخلاق، والخلق «هو عادة الإرادة». وضح الغزالي أن المفروض في برامج التربية تحقيق أمرين:

أولاً: أن ترسم الوجهة للسلوك المنشود.

«ثانياً: أن تُدَرِّب الأفراد على هذا السلوك، وتأخذهم به أخذاً مستمراً حتى يصبح طبعاً لهم وصبغة ثابتة فيهم، فالمربي أشبه بالزراع الذي يتولى البذر والحرث والسقيا والحماية والإخصاب والانتقاء حتى تنضج الثمرة». وكلمة التربية عند الغزالي تعني التزكية «والتسامي بالنفس وامتلاك الهوى». ويعرف التربية الدينية بأنها «نوع خاص من البناء المعنوي يجعل المرء متجهاً بقواه كلها إلى غاية معلومة وضابطاً لحياته وفق نظام مرسوم»[١]. وتشبيه المربي بالمزارع تشبيه دقيق (Alkanderi, 2001, p.146) ذكره أبو حامد الغزالي قديماً وروسو فيما بعد.

من خلال الملاحظة الفاحصة نجد أن الغزالي قد نظر للتربية نظرة شاملة في سياقها الثقافي العام فهي قوة عظيمة لتوجيه الجماهير للتطوير والنبوغ أو للتخدير والخنوع. التربية الصحيحة نواة شجرة ثقافية فينانة

= وتتوفر فيها وسائل تعليمية مناسبة، وتمتلك رؤية واضحة للأهداف المراد تحقيقها (Hoy, 2003, vol, 6. p. 2122).

(١) ص (٣٠٠).

ذات ظل فكري وريف ينتفع الناس منها لأنها تحث على الحركة الإيجابية ولا تبرر الخمول والجهل. مفهوم التربية في هذا الإطار يصبح محركاً للأمة كلها لتنفض غبار الأمية والتغريب عن كاهلها.

تناول الغزالي أهمية التربية لتثقيف الفرد عن طريق تزكية النفس وتوجيهها نحو الفضائل فقال في كتابه مستقبل الإسلام «ثم هناك علم الأخلاق والتربية والآداب النفسية وهو علم جليل الشأن، غايته بناء النفس الإسلامية على الكمال الذي يرشحها لعبودية الله تبارك اسمه! وإرساء علاقة الإنسان بغيره على ضوابط من الصدق والوفاء والحياء والحب والرحمة..، يحزنني أن الناس في هذا العصر ـ والمسلمون منهم ـ هبطوا كثيرا عن هذا الأفق، لانتشار النزعات الحيوانية والفلسفات المادية. والتربية التي أنشد تتناول الخصائص النفسية والعقلية معا وحبذا لو أخذنا فصولا من مدارج السالكين لابن القيم، وإحياء علوم الدين للغزالي، وصيد الخاطر لابن الجوزى، والتفكير فريضة إسلامية للعقاد، والدين والعلم للمشير أحمد عزت..!».

المحور الثاني: المنطلقات الفكرية للشيخ الغزالي في تربية المرأة

إذا أردنا استقصاء المنطلقات التربوية التي تناثرت في ثنايا كتب الغزالي فيمكن الإشارة إلى أهمها في سبعة منطلقات وهي:

١. النظرة الكلية الشاملة للإصلاح.

٢. النظرة النقدية.

٣. الوسطية.

٤. أسس لبرامج التدريب.

٥. ضبط الواقع لا الخضوع لضغطه.

٦. الموضوعية وتنوع المصادر العلمية.

٧. الأصالة والمعاصرة.

سيستعرض البحث فيما يلي ما سبق إيجازه.

النظرة الكلية الشاملة للإصلاح

تتطابق رؤى هذه الدراسة مع نظرات شاعر النيل حافظ إبراهيم - عندما اعتبر ضعف برامج البنات من أكبر علل البلدان الشرقية فقال:

من لي بتربية النساء فإنها ... في الشرق علة ذلك الإخفاق

تتفق نظيرة زين الدين (١٩٠٨ ١٩٧٦ م) مع ما سبق فتقول عن الوضع المتردي للمرأة العربية «والعادة آفة الشرق وبليته»[(١)].

من هذا المنطلق، يقوم المصلحون بتسليط الضوء على هذا الموضوع الذي لا يزال في بداية رحلة طويلة لمعالجة المعضلة كي تشارك المرأة في عملية تنمية المجتمع فليس في الإسلام ما يمنع من ذلك فالمرأة أهل لذلك ولكن التقاليد الاجتماعية قد تغلب المعتقدات الدينية كما تدل معطيات هذه الدراسة. يختلف الغزالي عن معظم المصلحين في أنه يطالب بتربية المرأة تعليماً راقياً يؤهلها لإدارة منزلها ومجتمعها فتفيد أسرتها وتثري مجتمعها فالمرأة المؤهلة الملتزمة بآداب الإسلام تستحق أن تتقلد أرفع المناصب وتعمل في الوظائف العامة بحرية تامة.

التربية التقليدية تعد المرأة في إطار ينحصر في البيت وفي بعض المهن داخل وزارتي الصحة والتدريس بينما التربية عند الغزالي تطالب بإصلاح شامل عن طريق توسيع عملية إعداد المرأة لتدعم مسيرة التنمية دون الإخلال بوظيفتها في البيت. رغم أن دساتير دول العالم تقر مبدأ

(١) السفور والحجاب ص (٢٧١).

المساواة بين الرجل والمرأة إجمالاً إلا أن الواقع يؤكد أن كفة الرجال أرجح في إدارة الأمور وتحصيل المعارف وهو الأمر الذي يرفضه فكر الغزالي جملة وتفصيلاً فالنساء شقائق الرجال في البيت والمدرسة والمجتمع ولا بد من اعداد المرأة بصورة شاملة تتيح لها ممارسة رسالتها في صناعة الحياة. قام الغزالي بتفسير القرآن الكريم ودراسة السنة النبوية المطهرة على ضوء تلك النظرة الكلية كما قام بدراسة الظواهر الاجتماعية وما يتصل بها من موروثات بنفس الرؤية التي تدل على دعوة لتحرير المرأة وتجديد الفكر الديني.

النظرة النقدية

قام الغزالي في **ركائز الإيمان** ببيان ضرر الأحاديث المكذوبة مثل حديث «لا تعلموهن الكتابة ولا تسكنوهن الغرف» وحديث «خير للمرأة ألا ترى رجلاً ولا يراها رجل» فهذه الأحاديث الباطلة استقبلها الناس كأساس السلوك في بعض البيئات.[١] وأشار الغزالي في **فقه السيرة** إلى أن الجهل بالسنة النبوية جعل البعض يعزل النساء تماما عن الحياة العامة[٢].

كشف الغزالي في **تراثنا الفكري** عن تخوفه من سيطرة بعض الحركات الإسلامية في حال الوصول للحكم لأنهم لا يؤمنون بمبدأ التوسع في تعليم المرأة[٣]، وتناول الغزالي بعض المتدينين باللوم والإنكار لأنهم لم يعرضوا سماحة الإسلام في قضايا المرأة بل هم من

---

(١) ص (١٥٧).
(٢) ص (٣٦).
(٣) ص (٤٧ - ٦٣ - ٦٧).

أسباب نفور الحركات النسائية من تعاليم الإسلام وفي نفس اللحظة انتقد الحركات النسائية لأنها هاجمت الدين لا المتدينين[١]. ونجد في كتاب **مقالات الشيخ محمد الغزالي** إشكالية تعليم النساء في القرن العشرين، فلم تفتح المدارس أبوابها إلا بعد محاولات مضنية ولا تزال فكرة عزل المرأة عن الدين والدنيا قائمة في أدمغة نفر من المتدينين[٢].

انتقد الغزالي أيضاً الواقع العربي كممارسات اجتماعية وموروثات دينية. ولأن قضية المرأة قضية جوهرية لا ثانوية فإن الغزالي في **سر تاخر العرب والمسلمين** يسجل تجربته ويبين أن البعض ما زال يرفض أن تمارس المرأة حقوقها ويقاوم نصائح المصلحين الداعية لرفع الظلم الاجتماعي فأصبحت الأنوثة رمز الهوان[٣]. استغرب المؤلف من وضع المرأة الغربية وهي تقود الشعوب وتغزو الفضاء وتتحكم بالمركبات الفضائية بينما المرأة المسلمة قد لا يحق لها قيادة سيارة على ظهر الأرض[٤]. وأنكر الغزالي مذهب الأحناف في أن القرشية لا يتزوجها إلا قرشي، كما أشار إلى أن من الصور المهينة لكرامة المرأة في مجتمعاتنا أن البعض يضنون على البنت بأخذ ميراثها[٥]. وتكلم المؤلف عن أهمية الأسرة في الإسلام وأكد على أن ليس للآباء إكراه بناتهم في التزوج ممن يكرهن لكن لهم حق الاعتراض على العقد إذا أساءت الفتاة التصرف في نفسها[٦].

---

(١) حصاد الغرور ص (٢٠٧).
(٢) ج١ ص (٢٩).
(٣) ص (٢٥).
(٤) ص (٣١).
(٥) الحق المر، ج٤ ص (١٧)، ج٣ ص (٢٢٤).
(٦) هذا ديننا ص (١٥٢).

وسع الشيخ الغزالي نطاق نقده ليشمل تحليل مواطن من التراث النصراني مع بيان أثرها السلبي على الفكر الإسلامي فناقش في كتابه **صيحة التحذير من دعاة التنصير** قضية المرأة عند المسلمين والنصارى وأنكر أن تكون حواء سبب الخطيئة الأولى. وأشار الغزالي إلى أن تعاليم آباء الكنيسة الأقدمين انتقلت إلى تراث الأمة الإسلامية(١) فهناك بقايا من أحكام الجاهلية تسيء إلى الأنثى وتخدش كرامتها تسربت إلينا من تقليد النصرانية(٢). رغم نقده الشديد لوضع المرأة عند النصارى إلا أن الغزالي يوجه اللوم أولاً إلى المسلمين المعاصرين لأنهم «عجزوا عن تقديم نموذج إسلامي جيد لحقوق المرأة وأسلوب معاملتها»(٣).

صوب الغزالي سهام نقده لشبهات المستشرقين أيضاً فنذر قلمه للدفاع عن حياض الدين ودخل معاركها الفكرية ليرد كيد المفترين فالصراع مع الغرب يتواصل في أكثر من خندق ثقافي لا سيما بعد أن بسط الغرب سيادته وتقهقر العرب أمام سلطانه. ينفي الغزالي في كتابه **دفاع عن العقيدة** ما أورده جولد تسيهر من أن أبا حنيفة عدو للمرأة ولرد هذا الهراء ذكر الغزالي جملة أدلة تدحض هذه الفرية من أساسها إذ أن أبا حنيفة أباح للمرأة «القضاء فيما تصح فيه شهادتها ... ولم يفرض عليها خدمة الزوج، بل أوجب على الزوج أن يستأجر لها من يخدمها»(٤). وعلاوة على ذلك فإن الغزالي تناول بصورة عابرة ولكن عميقة العديد من قضايا التربية العامة في كتابه **التعصب والتسامح** فكشف

---

(١) ص (١٤٤).
(٢) ص (١٤٧).
(٣) ص (١٦٥).
(٤) ص (٧٦).

وفند شبهات المستشرقين وأشياعهم ممن ينسبون العنف للإسلام مع أنه دين رحمة يرحب بالحب والتسامح. كما بين دور التعصب النصراني في عرقلة مسيرة التعليم في أفريقيا(١).

تناول الغزالي جهود هيئة الأمم في رفع مستوى المرأة ووجد أنها في نهاية المطاف تسهل عمل الفاحشة ولا تستنكر الشذوذ فهي لا تحقق العدالة المنشودة(٢) ثم يقدم المؤلف رؤية بديلة لما ينبغي أن تكون عليه المواثيق الدولية في شئون المرأة. تحدث الغزالي عن ضياع القيم الغربية وضرورة مراجعة الإسلام للاستفادة منه عالمياً فرغم تألق الذكاء البشري فالحاجة ماسة للأخلاق والرسالة الإسلامية(٣).

انتقد الغزالي في كتابه **الإسلام والطاقات المعطلة** وضع المرأة في الشرق والغرب وأشار إلى أن المرأة العاطلة في الشرق أفضل من المرأة الفاسدة في الغرب ولكن المرأة يجب أن تختار آداب الإسلام وليس لأحد أن يخيرها بين الشرين(٤). كما شرح الغزالي في **هموم داعية** مكانة المرأة والأسرة في الإسلام وفند قول الغرب الذي يزعم أن الإسلام دين يهين المرأة كما ينكر المؤلف على المسلمين سوء معاملة المرأة ويؤكد على أن ذلك يسيء للإسلام ويحول دون انتشار رسالته الإنسانية التي كرمت كلاً من الرجل والمرأة(٥).

---

(١) ص (٣٣٨).
(٢) الحق المر، ج٥ ص (١٥٧).
(٣) الحق المر، ج٦ ص (١٨٣).
(٤) ص (١٠١)
(٥) ص (٦٥)

تناول الغزالي موضوع المرأة من زوايا عديدة في رحلة حياته المديدة وذكر أسباباً متنوعة ساهمت في تدني وضع المرأة ولكنه لم يوجه اللوم للمرأة نفسها مع أنها فرطت بحقوقها الشرعية وينبغي عليها هي أولاً أن تهب مسرعة للمطالبة الحكيمة الواثقة إلى ممارسة حقوقها المسلوبة فإن الحقوق تؤخذ وقلما توهب. «التغيير يجب أن يبدأ من المرأة بأن تعيد النظر إلى ذاتها»[(١)]. كما ينبغي تصحيح تصور المرأة عن نفسها أولاً ثم تصحيح تصورات المسلمين عن شخصيتها ثانياً فهي شخصية سوية طموحه[(٢)].

الوسطية

لقد انقسم العلماء في شأن تعليم المرأة إلى ثلاثة أقسام. القسم الأول يتمسك بسياسة تعلم العلوم الضرورية والهامة فقط ثم تقر في بيتها ولا تخرج إلا للضرورة، وقسم يطالب بتعليم المرأة ثم تعمل في أي عمل تريده دون التقيد بالقيود الثقافية، وقسم وسطي يؤمن بتعليم المرأة إلى أبعد الحدود وتشارك في العمل خارج منزلها إن أرادت ولكن مع الالتزام بالآداب الإسلامية.

تتجلى وسطية الغزالي في أنه شجع عطاء المرأة في خدمة المجتمع والعمل خارج المنزل وذلك عبر المشاركة في الأعمال التي تناسبها مع التأكيد على أن وظيفة ربة بيت وظيفة عظيمة ولا تَعارض أبداً بين المسارين. لا توجد حاجة لأن تُخيَّر المرأة بين البيت أو العمل خارجه طالما أنها تستطيع الوفاء بحق الوظيفتين بصورة متوازنة. يحمل الإنسان

(١) الميلاد، زكي: تجديد التفكير الديني في مسألة المرأة ص (٦٤ ـ ٩٠).
(٢) أبو شقة، عبد الحليم: تحرير المرأة في عصر الرسالة ص (٣٠٢ ـ ٣٠٤).

في طياته طاقات عظيمة تتيح له ممارسة عمله في محيط المجتمع ودائرة الأسرة في تناغم.

يرى عبد الحليم عويس أن الغزالي كان يقف مع حجاب المرأة ويراه الوسطية المحققة لإنسانية المرأة وفاعليتها في سياق واحد، فالسفور يجعلها سلعة مبتذلة وأما النقاب فإنه يحول دون فعالية المرأة[١].

إن من علامات إنصاف المرأة أن نترك لعقلها الواعي السليم حرية الاختيار في ملبسها ومسلكها وخاصة في المسائل الفقهية الخلافية فلقد حرمت من أبسط حقوقها الخاصة والعامة لمدة قرون عديدة وآن لها أن تمارس حقها الطبيعي في التعبير عن رأيها كما أراد لها الإسلام الذي جعل لإرادة المرأة قيمة كبرى في إدارة الحياة كشريكة متعاونة مع الرجل.

يحترم الغزالي مكانة المرأة كما يتفهم طبيعتها وتكوينها الجسدي والنفسي ويؤمن بأن مواهبها واستعداداتها تسع لتحصيل المعارف وتنمية المجتمع ولهذا فهو يرى أن عملية تثقيف المرأة يجب أن تتحرر من الكثير من الموروثات السلبية التي مازالت باسم الدين أو التقاليد تقلص ميادين تربيتها وتزيد من معاناتها. خاض الغزالي معارك فكرية كثيرة لتوسيع دائرة تعليم المرأة كي تشارك في أنشطة المجتمع دون قيود جامدة تكبل حركتها أو أفكار سلبية وافدة تفشل مسيرتها.

لقد جاءت نظرات الغزالي متفرقة في كتبه وخطبه ولكنها تجتمع كلها تحت منهج عام بدأ فيه الغزالي منذ منتصف القرن الماضي وأخذ يوسع إطاره فيما بعد. يطالب هذا المنهج التربوي الوسطي بالاعتدال في استئناف نشاط المرأة في الحياة العامة بصورة شاملة وبما يتناسب مع

(١) الشيخ محمد الغزالي: تاريخه، جهوده، آراؤه ص (٦٥).

معتقداتنا الإسلامية مع رفض قاطع للواقع العربي في حبس النساء أو تقليد الغرب في التفسخ. استخدم الغزالي رؤية نقدية لنشر أفكاره التي حاول أن تكون معتدلة فانتقد تقاليد الشرق المجحفة التي لا تقل خطراً عن تقاليد الغرب المسرفة، وصورت كتاباته قصة ظلم المرأة بين مِطرقة المغالين وسَندان المقصرين . شملت الحركة النقدية عند الغزالي تنقية الثقافة والأعراف من أفكار تحتقر المرأة وتستهين بقدراتها وتريد الإبقاء على ظواهر سلبية متعالية تضخم مواطن الضعف الإنساني الأنثوي.

ولقد شاعت تلك المعتقدات بين الناس وشوهت سمعة الإسلام. قرن الغزالي حججه بدلائل عقلية وأسانيد نقلية وحاول توجيه الجماهير نحو مراجعة النفس والتراث والواقع. من المؤكد أن كتاب **المرأة بين العادات الوافدة والراكدة** من أهم وأشمل كتب الأستاذ الغزالي عن تربية المرأة ولكن الكثير من المرتكزات الوسطية مكنونة في كتبه الأخرى فما أوجزه في مكان فصل فيه في مكان آخر.

أسس لبرامج التدريب

حض الغزالي المربين على تأهيل وتدريب المتعلمين[(١)] بعد رسم الأهداف المطلوبة وذلك لغرس وممارسة كل المفاهيم التي من شأنها تهذيب النفس سواء داخل الأسرة أو في جنبات المجتمع. إعداد البرامج التدريبية المناسبة لترسيخ المفاهيم الاجتماعية العادلة تجعل عملية تمكين المرأة في دائرة التأثير والتقويم والتطوير. هذه الفلسفة الوسطية المتماسكة تجعلنا نراجع برنامج المساجد والمدارس والمعاهد لنتأكد من سلامة رسالتها في إمداد الفتيات بمعرفة الحقوق والواجبات لممارستها في واقع الحياة. هل الأهداف المرسومة لمؤسسات التعليم والدروس

(١) قذائف الحق، ص (٣٠٠).

المثبتة في دفاتر تحضير الدروس المدرسية تزود الفتاة بحقائق معاصرة تكشف ظلم بعض العادات الوافدة والراكدة وتبين كيف تتم المواجهة الحكيمة؟ هل كليات التعليم العالي تكوِّن العقلية الناقدة أم أنها تمجد مآثر حضارتنا في الماضي وتغض الطرف عن مرارة الحاضر؟

هل ثقافة المرأة اليوم ثقافة صحيحة تؤهلها للمطالبة بحقوقها بصورة صحيحة وتسمح لها بممارسة رسالتها على بصيرة؟

ما المؤشرات الدالة على تعميق مفهوم ممارسة حق الاختيار في مدارسنا؟ هذه جملة أسئلة تنبثق مما سبق ونعتقد أنها تتسق مع عملية تطبيق فلسفة الغزالي التربوية في الميادين التعليمية. لقد هاجم الغزالي ثقافة تحقير أو تقليل شأن المرأة وحارب الصور النمطية التي سادت فعطلت طاقات النساء فهل يتخذ المربون هذه السياسة لتحقيق سيادة المرأة لتقوم بدورها كشقيقة للرجل فتشاركه وتساهم في عملية صناعة الحياة في البيت والمجتمع بمؤسساته الرسمية والأهلية؟

ما البرامج المرسومة لتحقيق ذلك؟

يرى الغزالي أنه لا بد من رعاية الأسس النفسية والاجتماعية من أجل تقديم برامج إصلاحية نافعة وفيما يلي أهم الأسس:

١ ـ توثيق الصلة بين المرأة وينابيع الثقافة الدينية والمدنية.

٢ ـ إعادة الحياة للعلاقة بين النساء وبيوت الله في الصلوات.

٣ ـ تدريس الوظائف التربوية للبيت المسلم حتى نستطيع تخريج أجيال تعرف ربها ودينها ومعاشها ومعادها.

٤ ـ الحكم بإعدام ما تواصى المسلمون به في تقاليد الزواج من مغالاة في المهور وإسراف في الحفلات.

- ـ وصل ما بين البيت المسلم وقضايا المجتمع الكبرى[1].

ضبط الواقع لا الخضوع لضغطه

يعتقد بعض الباحثين[2] أن ضغط الواقع وهيمنة النظريات الغربية المنتصرة شكلت بعض قناعات الغزالي فخضع لها وسار في ركابها وخاصة في قضايا المرأة. يجب أن نقدر من انتقد الغزالي بصورة موضوعية فكلام الغزالي وغيره من المفكرين قد لا يخلو أحياناً من بعض الاجتهادات النسبية، والألفاظ الفضفاضة، وردود الأفعال السريعة أو العاطفية[3] ولكننا نعتقد في العموم وعلى ضوء دراستنا الحالية ـ أن ضبط الواقع لا ضغطه أساس نظرية الغزالي في تربية المرأة وهي نظرية رائدة تتسم بالسداد والوسطية لأنها ترفض فوضى الغرب، وتنكر تشدد الشرق.

ظل الغزالي ملتزماً بالإطار السابق كخط واضح وإن تغيرت بعض التفاصيل كبعض آرائه الفقهية في قضايا معينة مثل الترحيب بالاختلاط في الجامعات وفق الضوابط الشرعية، وموافقته على تربية المرأة تربية عالية لتتولي الوظائف القيادية. لم يحارب الغزالي الظواهر السلبية في البادية أو الريف فقط ولكنه انتقد العادات الشرقية دون تحيز فانتقد بعض التقاليد العربية (المصرية والجزائرية والخليجية..) والغربية والشيوعية وكل ما

---

(١) قذائف الحق، ص (٢٩٨).
(٢) العودة، سلمان بن فهد في: حوار هادىء مع محمد الغزالي ـ المدخلي، ربيع ابن هادي في: كشف موقع الغزالي من السنة وأهلها، الجزائري، أبو بكر جابر في: القول الكريم الغالي في الدفاع عن الداعية الغزالي.
(٣) خليل، عماد الدين وآخرون: الشيخ محمد الغزالي صور من حياة مجاهد ص (٣٥).

اعتقد ضرره في عملية تربية وتعليم المرأة، ولم تسلم مسيرة الأزهر التعليمية من نقده اللاذع. وإذا فرضنا تأثر الغزالي بضغط الحضارة الغربية فهل كل دخيل يستراب منه؟

وهل نترك بناء مدارس البنات لأن الغرب قطع شوطاً في نشرها عالمياً؟

وهل يَسلم مَن رفض منطق الغزالي مِن ضغط الأوضاع الشرقية الراكدة؟

إن الذين يتحدثون عن تأثر الغزالي بضغط الواقع لا يكشفون حقيقة الضغط الرهيب الذي تتعرض له الفتاة العربية في حياتها اليومية. ذلك الضغط الذي قيد عقلها وكبل حركتها قد قلل مساهماتها تقليلا واضحا ولقد حاولت كتابات الغزالي أن تقرب المعاني الأليمة في مسيرة النساء ليقوم المجتمع بضبط الواقع من خلال تجريده من أشكال الانحراف والضغوطات. حاول الغزالي أن يرفض ضغط الغرب والشرق معاً فالفريق الأول يمعن في التغاضي عن العفة والثاني يغض الطرف عن سياسة تجهيل النساء.

رفض الشيخ الغزالي بشدة الخضوع لمفاسد الغرب بينما رحب بحذر التعاون مع الغرب والاستفادة منه في كل أمر نافع. من الواضح أن الغزالي يرى تغيير الأوضاع من خلال تغيير المفاهيم حيث أنه يؤمن بأن فساد التدين حجب المسلمين من فهم الدين كقوة باعثة للتأمل والتغيير والإنتاج والعمل والتسامح. لذلك فإن الإصلاح لا يتحقق إلا برفع المستوى العلمي، وتهذيب الأخلاق وتكوين العادات الصالحة، والتربية الشاملة وخاصة للناشئة، وفهم الدين دون إفراط أو تفريط والاستفادة من الخبرات الوافدة إن كانت نافعة. من أهم الأمور التي يمكن أن نستنبطها

أيضاً من فقه الغزالي أننا يمكن أن نستفيد من الأنظمة التربوية الغير إسلامية طالما أنها تحقق مقاصد الدين وتتسق مع مصالح المجتمع. وهكذا لا يمانع الغزالي من الاستفادة من تقاليد لم نعرفها إذا بدت صلاحيتها مثل فكرة تشجيع المرأة في الإنتاج في مؤسسات الدولة[1].

الموضوعية وتنوع المصادر العلمية

تقوم منظومة الفكر التربوي عند الغزالي على أساس احترام مبدأ الحرية والاختيار والشورى الملزمة واحترام الخلاف العلمي النزيه والنقد المتزن والتعددية الموضوعية وهذه المفاهيم الأصيلة تنسجم مع مضامين ومفردات التربية المعاصرة التي تدعو للاعتدال والشمول. من الواضح أن الغزالي بذل جهداً كبيراً ليحقق الأصالة والمعاصرة من خلال الحرص على فتح نوافذ فكرية للاستفادة من الدراسات المعاصرة مع الاستعانة بالمصادر القديمة.

تعرض الغزالي في كل أو جل فقهه التربوي لكثير من المسائل الخلافية وتميز بصراحة المواجهة وسلامة المنهج فأنكر حكر الحق في المسائل الخلافية فالفكر الصائب لا يسير في ركاب طائفة معينة. إن رؤية الغزالي تجعل من الإيمان وإعمال العقل كتلة واحدة لمعالجة الثغرات دون تضخيم أو تعتيم. إن التربية المعاصرة تدعو للحوار والتسامح والإقناع وحق الاختيار وتوسيع مساحة الحرية بما لا يتعارض مع قطعيات الدين ومصالح المجتمع. تتضمن تربية البنات في الإسلام الكثير من الترجيحات التي تتطلب الاجتهاد الناضج مما يتطلب مساحة من التسامح تسمح بالحوار العلمي، والاختيار الموضوعي، والنقد الذاتي.

---

(١) ليس من الإسلام، ص (٢٠٦).

قد تكون بعض عبارات الغزالي قاسية أو غير دقيقة أحياناً عندما ينتقد مخالفيه فيصف فقههم بالفقه البدوي فتتحول عبارات التوضيح إلى سهام للتجريح. ولكن على ضوء الاستقراء نجد أن منهج الغزالي العام في الاجتهاد والاختيار يرحب بالتنوع ويرفض الوصاية الفكرية. الحاجة ماسة للإيمان بحرية الحوار البناء على الأقل بين الباحثين في دراساتهم كي يتقدم العلم بأفكار مستنيرة ولا يتقيد العقل فينكمش في قضايا هامشية وتشنجات فكرية. نشر الشيخ الغزالي ثقافة الحرية والحوار والاختيار فكان رائداً ومُسانداً لعدد كبير من المشتغلين في العلوم الاجتماعية ممن يبحثون عن أرضية دينية لتوسيع نطاق الحريات في عالمنا العربي المكبوت وخاصة في موضوع تحرير المرأة من منظور التربية الإسلامية.

استند الغزالي في كتاباته على عدد كبير من المراجع الأصيلة والثانوية وتتميز تلك المراجع بالتنوع والدقة العلمية في أحيان كثيرة ولكنه لم يوثقها توثيقاً دقيقاً في نهاية كل كتاب من كتبه. ولعل هذا المنهج يكون أقرب لفهم عامة الناس من حيث السهولة والبساطة وهو منهج سار عليه عدد كبير من العلماء السابقين وبعض المحدثين ولكن هذا المنهج يخالف المتعارف عليه عند معظم الباحثين في المعاهد العلمية عالمياً.

عالج الشيخ مجموعة كبيرة من القضايا التي تمس النساء وقلما يشير إلى الدراسات الجامعية والكتابات الأكاديمية بل نقل بيانات وإحصاءات منشورة في الجرائد والمجلات اليومية دون الرجوع للمصادر.

المتابع لمصادر الغزالي يجد الكثير من الأفكار التي استعان بها تستند إلى اجتهاد من اجتهادات الأئمة الأربعة وغيرهم من العلماء وعادة يذكر الغزالي اسم الإمام الذي استفاد منه وذلك من باب الأمانة العلمية

وأيضاً لتعزيز حجته ولا شك أنه لم يتقيد بتقليد مذهب أو إمام معين.

يزكي الغزالي في كتابه **صيحة التحذير من دعاة التنصير** كتاب **تحرير المرأة في عصر الرسالة** لعبد الحليم أبو شقة ويعتبره موسوعة من أرحب وأنفس ما كُتب في موضوع المرأة لأن فيه تحديد الموقف الإسلامي من تلك القضية الحساسة[١].

قام الغزالي في كتابه **جدد حياتك** بتأييد كثير من أطروحات ديل كارنيجي (١٨٨٨ ١٩٥٥ م) في أدب النفس والسلوك والتي توصل إليها بعد استقراء جيد لأقوال الفلاسفة ودراسات المربين كما صرح الغزالي في مقدمة الكتاب. من المعلوم أن جمعاً غفيراً من علماء المسلمين المتخصصين في التربية الإسلامية لا يحفلون كثيراً بدراسات الغربيين في العلوم الإنسانية فتأتي أبحاثهم التقليدية مليئة بالشواهد الدينية ومعزولة عن نتاج الحضارات الأخرى وهو الأمر الذي جعل الغزالي يختم كتابه السابق بنداء لعلماء المسلمين حيث حذرهم من أن «قصر باعهم في علوم الحياة هو أبشع جريمة[٢] يمكن أن ترتكب ضد

---

(١) ص (١٥٥ ـ ١٥٧).
(٢) يرى بعض الباحثين المتخصصين في منهج البحث في الدراسات الإسلامية أن الإحجام عن ولوج المجامع الفكرية والابتعاد عن المشاكل الإنسانية هو تخل عن واجب وفريضة (حمادة، ٢٠٠٠ م، ص ٢٢). يصرح الغزالي – دون مواربة – أن التخلف في دراسة العلوم الدنيوية جريمة دينية لا تقل نكرا عن جرائم الربا والزنا بل لعلها أشنع وأوخم عقبى (**من مقالات محمد الغزالي**، ج٢، ص ١٩٩). "انتقد الشيخ محمد الغزالي في كتاب نشره قبل عشرين عاما انصراف شباب التيار الديني عن ميادين العلم إلى التخصصات الدينية، فكتب يقول: "لقد راقبت الكثير من الشباب الذين يستحبون خدمة دينهم، وأفزعني أن الخطل الموروث يهيمن عليهم، إنهم لا يحسبون عرق الجبين في البحث عن البترول، =

الإسلام»[١]. كان كارنيجي (Carnegie) شديد الاهتمام بتنمية المهارات الحياتية مثل فن الخطابة وتحفيز النفس وكسب الأصدقاء والتغلب على القلق لتحقيق النجاح الاقتصادي والتنعم في الحياة. هذه النزعة العملية أعجبت الغزالي ووجد أصولها في الإسلام فاستفاد من فكر كارنيجي كمرجع من مراجعه المتنوعة.

أشار الغزالي في كتابه **حقيقة القومية** إلى خطأ يقع الباحثون فيه عندما يدرسون المرأة في الإسلام وذلك بأنهم يرجعون إلى كتب التاريخ لا الحديث النبوي فتخدعهم الكتب فيخلطون الحقائق ويقعون في أخطاء كبيرة[٢].

ومن صفات الباحث الحر الأمين أنه لا ينساق وراء مراجع متحيزة ونتائج فكرية محددة سلفاً بل يشك فيها ويحاول أن يستفيد من مصادر محايدة فيقلب صفحاتها بصدر رحب. يعتقد الغزالي أن الشعر الجاهلي

= أو تلوث الجبهة وراء آلة دوارة، لا يحسبون ذلك جهاد... وقد رأيت صيدليا مشغولا ببحث قضية "صلاة تحية المسجد" في أثناء خطبة الجمعة، ومهتما بترجيح مذهب على مذهب، فقلت له: لماذا لا تنصر الإسلام في ميدانك، وتدع هذا الموضوع لأهله؟ إن الإسلام في ميدان الدواء مهزوم!.. (مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، بيروت ١٩٨٣ م، ص ٢٦ . ٢٧ . العالم المصري. الأمريكي أحمد زويل استجاب فيما يبدو لدعوة المرحوم، الشيخ الغزالي، فهو الحاصل على جائزة نوبل في الكيمياء عام ١٩٩٩ م، إثر تطويره مع فريق عمله. جهاز (الفيمتوسكوب)، الذي يستخدم في تصوير عملية الربط الجزيئي للمواد الكيميائية . دعا الدكتور زويل في مقابلة صحافية العرب والمسلمين إلى الاهتمام بـ "الجهاد التعليمي" (حيدر، ٢٠٠٣ م، ص ٢٣، باختصار وتصرف).

(١) ص (٢٠٧).

(٢) ص (١٨٥).

يثبت أن العرب عموما لم يهينوا المرأة كما هو شائع عند الباحثين رغم أن بعض الجاهليين كانوا يقللون من مكانتها[١]. هذه النتيجة تخالف ما ذكره المؤلف نفسه في بعض كتبه الأولى[٢] مما يدل على حرصه على مراجعته الدائمة للحقائق التي يبثها، والمصادر التي يعتمد عليها.

الأصالة والمعاصرة

لا ينفك الفكر التربوي عند الغزالي عن ربط الأصالة بالمعاصرة وذلك عن طريق استلهام النافع من محاسن تراثنا الإسلامي مع مواكبة الصالح من العلوم المعاصرة. أبرز الغزالي جهود أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وإسهامات عالمات الحديث النبوي الشريف، والمحسنات والمجاهدات لأنهن صنعن مجد الإسلام. ويدافع المؤلف عن أبي حامد الغزالي فيصفه بالفيلسوف المربي ويصف الإحياء بأنه «من أخصب المؤلفات في شرح آفات النفوس، وتقويم الطباع البشرية»[٣].

قام الغزالي في كتابه **ليس من الإسلام** ببيان جوهر الإسلام وحكمة توجيهاته وأكد على أن التعليم أفضل طريقة لخدمة الإسلام[٤]. استفاد الغزالي من نظرات المربين أمثال جان جاك روسو وابن خلدون في عرض بعض أفكاره[٥]. وانتقد الغزالي في كتابه **كفاح دين** أتباع نظرية جون ديوي داخل مصر (١٨٩٥ ١٩٥٢ م) لأنهم يريدون تطبيق أفكار

---

(١) ركائز الإيمان، ص (٢٣٩).
(٢) الطريق من هنا، ص (١٤٥).
(٣) علل وأدوية، ص (١١٧).
(٤) ص (٨).
(٥) ص (١٤، ١١٦).

رائدهم في بيئة مختلفة ومن دون نقد وتمحيص. أنكر الغزالي التقليد وطالب أتباع جون ديوي في مصر بمراعاة خصوصية العصر الذي يعيشونه وطلب إليهم أن يستقلوا في التفكير كما استقلت مصر[١]. والحق أن تربية جون ديوي (John Dewey) تؤكد على مفهوم الخبرة (Experience) وحل المشكلات العملية (Solving practical problems) ولهذا أصبح ديوي معروفا في فلسفة التربية على المستوى العالمي لأنه براغماتي (Soltis, 2003) وهذا التوجه في بعض مضامينه لا يتناقض أبداً مع دعوة الغزالي السابقة. إلا أن أنصار ديوي يجب أن يدركوا مقومات البلد وخصوصياته إذا أرادوا تنظيم التعليم، وذلك أمر لا بد منه في رأي الغزالي[٢]. ويؤكد المتخصصون في الفكر التربوي أن إسماعيل القباني (١٨٩٨ ١٩٦٣ م) يمكن تسميته بجون ديوي المصري لأنه وظف البراغماتية بروح مصرية أما «الأساليب التعليمية فهي منقولة حرفياً من براغماتية ديوي»[٣] مما يعزز رأي الغزالي ويدل على فهمه الدقيق وإطلاعه الواسع على بعض معضلات الواقع التربوي محليا وعالميا.

---

(١) ص (١١).
(٢) ص (١١ ـ ١٨١).
(٣) قمبر، محمود إسماعيل قباني في: مفكرون من أعلام التربية ص (١٢).

المحور الثالث: موقف الشيخ الغزالي إزاء تحديات تربية المرأة

ليس من السهل دائماً تحديد موقف الغزالي إزاء عدد من القضايا الحساسة التي تمس حركة المرأة ونموذج تعليمها لأن الشيخ قد تراجع عن بعض مواقفه السابقة وأخذ في كتاباته الأخيرة يأخذ منحى المرونة القائمة على الموازنة بين ركائز الأصالة وبين مكاسب المعاصرة. حدد الغزالي موقفه من عدد من القضايا منها: موقع المرأة في البيت وفي المجتمع ونوع التعليم المناسب لها فتحدث عن المرأة والاختلاط كما تحدث عن ثقافة المرأة ودور الحركات النسائية. فيما يلي شرح لما سبق إيراده.

موقع المرأة بين البيت والمجتمع

قال الغزالي «ويوم تتجه العقول الذكية والقلوب النقية إلى الاستمداد من الإسلام في تنظيم المجتمع، والدولة، فستكون مكانة المرأة أشرف وأسمى، وستسهم في بناء أمة نبيلة الرسالة، عريقة التاريخ»(١).

كتب الغزالي في بداية الخمسينات فصولاً رائدة في كتابه **من هنا نعلم** عن المرأة والمجتمع رغم أنه غيَّر بعض أفكاره الجوهرية فيما بعد فطورها وجدد فيها. أنكر الكتاب فكرة المساواة المطلقة وأكد على أن

(١) معركة المصحف ص (٢٥٠).

الرجال وحدهم هم الذين يوجهون التاريخ إلى مستقبله المرسوم ورغم أن الكتاب قلل من قدرات النساء وضيق مساحة مشاركة المرأة السياسية والثقافية إلا أنه طالب بنهضة نسائية إسلامية لا تخضع إلى تقاليد الشرق والغرب.

ذكر الغزالي عيوب الشرقيين في نظرتهم للمرأة فأشار إلى النقاط التالية:

١ ـ انتقاص مكانة الأنثى فالرجل مطلقاً أفضل من المرأة.

٢ ـ حصر وظيفة المرأة بالمتعة المادية.

٣ ـ اختلال موازين العدل في التعامل مع المرأة، فالمرأة تقتل إذا زنت والرجل يترك بلا نكير.

وعدد الغزالي أهم عيوب الغربيين فأشار للنقاط التالية:

١ ـ التسوية المطلقة للجنسين.

٢ ـ إقامة المجتمع على الاختلاط المطلق.

٣ ـ الفوضى الجنسية.

وبين الغزالي أن غلبة التقاليد الغربية على بلادنا ترجع إلى:

١ ـ فساد التقاليد الشرقية السائدة.

٢ ـ سطوة الاستعمار الغربي.

٣ ـ سلبية الفكر الإسلامي المعاصر حيث اكتفى بالاستنكار السلبي ولم يقدم عملاً ايجابياً وبرامج هادفة لحل مشكلة المرأة(١).

---

(١) ص (١٤١ ـ ١٤٣).

وجه الغزالي نقداً لاذعاً للبلاد الإسلامية لأنها تجهل وظيفة المرأة في المجتمع فقال «والأمة الإسلامية الآن نصفان. نصف لا مكان للمرأة فيه كاليمن والحجاز. ونصف مكان المرأة فيه غلط. كما هي الحال عندنا في مصر»(١). ويضاعف المؤلف نقده لظاهرة قتل الشرف فيكشف عن الموازين المختلة في المجتمع لأننا «نقتل المرأة إذا زنت ونترك الرجل لا يمسه السوء؟»(٢).

طرق الغزالي في كتابه **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم** بعض الموضوعات التربوية الوثيقة الصلة بالمرأة والأسرة. يمتاز الكتاب بربط التوجيهات القرآنية بمناحي الحياة ووفق نظرة ناقدة ويطالب المؤلفُ المسلمين باختيار «أشرف الأساليب لبقاء البيت المسلم يؤدي رسالته التربوية والاجتماعية، وأن يدرسوا ما يقع في أرجاء العالم من هذا القبيل» فالسائد عند البعض إنكار أن تكون للمرأة شخصية متميزة ذات إسهامات حضارية(٣).

أشار الغزالي في كتابه **حقوق الإنسان: بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة** إلى الرجل والمرأة في المجتمع وبسط القول في حقوقهما الاجتماعية وبدأ المؤلف المسألة ببيان مساواة الرجل والمرأة في التكليف والجزاء وأن الإسلام وزع الاختصاصات العملية توزيعاً يوافق طبائع الذكورة والأنوثة وأنكر ما شاع في أذهان نفر من المتدينين من أن النساء خلق أدنى من الرجال. وشجع المؤلف المرأة على ممارسة حقوقها السياسية ولم يمنعها من ولاية الوظائف العامة طالما أنها لا تتعارض مع

---

(١) ليس من الإسلام، ص (٢٠٠).
(٢) ص (٢٠٢).
(٣) ص (٢٢، ٤٩).

طبيعتها ودورها في البيت. رغم أن الغزالي أورد بعض الدراسات الدالة على أن الرجال أكثر ابتكاراً وأن دور البيئة في التنشئة غير منكور إلا أنه يقرر أن «تربية الجنسين كليهما واجبة وأن تعليق أوسع الآمال على هذه التربية معقول. ولكن انتظار انقلاب إنساني يجعل المرأة والرجل سواء في كل شيء خطل»(١). وبعد ذلك عقد فصلاً عن كيان الأسرة وأكد على أهمية غض البصر في تعامل الرجال مع النساء واعتبر غض البصر من أنواع الجهاد الأدبي ثم أشار إلى خطورة التبرج، وخطر الخلوة بالمرأة الأجنبية.

يعتبر كتاب **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث** من أشهر كتب الغزالي وقد أحدث الكتاب ضجة فكرية كبيرة بين الباحثين، فقد جمع فيه المؤلف الكثير من أفكاره النقدية في موضوع المرأة. اعتبر الغزالي أن الذين أجازوا أن يجبر الأب ابنته البالغة على الزواج بمن تكره قد انساقوا مع تقاليد إهانة المرأة وتحقير شخصيتها(٢). البيت هو مكان كريم عظيم ولهذا يرى المؤلف أهمية قيام المرأة برعاية منزلها وهذا التوجه لا يتعارض مع تشجيعها على خدمة المجتمع دون الإخلال بحق الأسرة ومع مراعاة الآداب الشرعية في الخروج من المنزل(٣). ركز الغزالي في مناقشاته على قوله جل ثناؤه ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٥] وقوله ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ [سورة النحل:الآية ٩٧] وحديث الرسول

(١) ص (٩٤).
(٢) ص (٤٢).
(٣) ص (٥٣).

صلى الله عليه وسلم «النساء شقائق الرجال»[1]. هذه هي الأعمدة الأساسية لتربية المرأة المسلمة ذات الشخصية المتميزة في بيتها ومجتمعها.

لا يمانع الغزالي من تربية المرأة كي تكون حاكمة أو وزيرة أو سفيرة[2]. أكد الكتاب على أهمية دور المسجد في تنشئة المرأة وطالب بضرورة رفع كافة العقبات التي تحد من حركة المرأة لتمارس حقوقها الدينية والثقافية في البيت والمسجد والمجتمع.

يعتقد الغزالي في كتابه صيحة التحذير من دعاة التنصير أن بعض المتدينين دون مستوى الفهم بطبيعة المجتمع الإنساني ولوظيفة المجتمع الإسلامي لأنهم يرون أنه لا عمل للمرأة إلا أن تلد الأولاد[3].

(١) ص (٥٥).
(٢) ص (٦٠).
(٣) ص (١٥٤).

الاختلاط

يؤمن عدد غير قليل من الباحثين بعدم اختلاط الرجال بالنساء في الأماكن العامة والخاصة إلا لضرورة ووفق شروط شرعية صارمة منها أن لا تكشف المرأة عن وجهها فالمرأة عند بعض السابقين «ناقصة العقل قليلة الدين ليست أهلاً لحضور المحافل» وذهب بعضهم إلى أن أصول الشريعة الإسلامية تضمنت أن «المرأة كلها عورة، بدنها وصوتها، فلا يجوز كشف ذلك إلا لحاجة»[1] وهي آراء قديمة ومازالت منتشرة إلى هذه الساعة في الساحة العربية إلا أن الغزالي يرفض الإذعان لها لأنها حيطة متكلفة ولا تستند إلى قطعيات الدين وبراهين العقل. ولقد شجع الغزالي النساء على حرية التحرك الفعال خارج البيت ولم يمانع من تولي النساء المؤهلات أغلب المناصب في الدولة إذا لم تتعارض متطلبات تلك المهن مع طبيعتهن ووظيفتهن في الأسرة كما سمح الغزالي للمرأة بدخول أجهزة الإعلام والمشاركة في الغناء مادام الغناء شريف الغرض، عفيف الأداء[2].

شرح الغزالي في كتابه **هذا ديننا** طبيعة الحياة بين الرجل والمرأة وحذر من إقحام المرأة في كل مجال[3] ويرى المؤلف في هذا الكتاب أن الإسلام يرفض ازدواج التعليم، فلكل من الجنسين مدارسه وجامعاته»[4].

---

(١) الدلال، محمد سامي: المرأة المسلمة والولايات العامة ص (٤٩).
(٢) الحق المر، ج٣، ص (٢٣٢).
(٣) ص (١٤٢).
(٤) ص (١٨٣).

ولقد تراجع الغزالي عن هذا الرأي فيما يتصل بالاختلاط المحتشم في المرحلة الجامعية كما سوف نرى ذلك لاحقا. ولقد طالب الغزالي بضرورة السماح للمرأة بارتياد المساجد والمدارس، وبين أن سفور الوجه ليس محرماً، وأكد أن تدريب المجتمع على تطبيق الفضائل والآداب العامة «يحتاج إلى تربية على نطاق أتم وأشمل»[(١)].

يرى الغزالي أن المرأة يمكنها أن تعمل في تدريس الأطفال إلى سن التاسعة أو الحادية عشرة[(٢)]. وهنا نجد الغزالي قد يختلف عن بعض أقرانه من العلماء الذين يطالبون بفصل الطلاب عن الطالبات ومنع كل ما يحوم حول الاختلاط مهما كان أمره[(٣)]. قد لا يعتمد التوجه على نص قطعي مباشر ولكنه يعتبر الأضرار الناتجة تقود إلى منع كافة صور الاختلاط.

وافق الغزالي على اختلاط البنين والبنات في جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية في الجزائر وكان ذلك في دائرة الأدب والحياء. ولكن الغزالي حذر من التعليم المختلط في المدارس الثانوية لأنه جمع يوقد الشر ويؤجج المشاعر عند المراهقين فطبيعة هذه المرحلة لا تسمح بذلك وستكون الدراسة فاشلة كما طالب بتوحيد زي الطالبات في جميع مراحل التعليم[(٤)]. وهكذا لم يمنع الغزالي الاختلاط بين الجنسين على إطلاقه بل فصَّل في الأمر.

---

(١) من هنا نعلم، ص (١٦٠ ـ ١٦٦).
(٢) حقوق الإنسان، ص (٩٦).
(٣) ابن عثيمين: مجموعة أسئلة تهم الأسرة على موقعه على الأنترنت، حداد، ايفون يزبك: معضلات في العالم العربي المتغير ص (٥٦).
(٤) الحق المر، ج٣، ص (٣٨).

لا يؤمن الغزالي بنشر العفة من خلال عزل المرأة وحبسها ولا يؤمن بالاختلاط المطلق لأن تلك الطرق من أفشل ضروب التربية[1]. وهكذا فإن الغزالي يرفض التشدد في منع الاختلاط لأن ذلك المنهج القائم على الحيطة المفرطة لن يوطد أركان النظام في المجتمع. إن ارتفاع المستوى الخلقي عند الجنسين مع مراعاة الآداب العامة سيجعل السلوك أكثر انضباطاً وأقل تفلتاً والاعتدال في كل حال هو الصواب.

يجب أن يكون الاختلاط بصورة لا تؤدي إلى استثارة الغرائز ونشر الفوضى وعن الأسلوب الأمثل في العلاقة بين الرجال والنساء شرح الغزالي الفرق بين التبرج وبين التجمل فالتبرج إثارة مفتعلة للفت الأنظار، أما التجمل فهو «صون الجسد واستبقاء محاسنه الطبيعية واستبعاد ما يشينها أو يشوهها، وذلك لا حرج فيه بل هو مطلوب»[2]. وتحدث الغزالي عن ملابس النساء فقال «فمن الواجب ابتكار أزياء تجمع بين الفضيلة والجمال، وتمنع التبرج والفساد»[3]. وهكذا فإن الغزالي لا يتفق تماما مع الكثير من الفتاوى الشائعة والأعراف الراسخة المقيدة للباس النساء.

---

(١) ص (٢٠٥).
(٢) من مقالات الشيخ محمد الغزالي، ج٢، ص (٤٨).
(٣) معركة المصحف، ص (٢٤٤).

الحركات النسائية ودورها التربوي المأمول

نجحت الحركات النسائية في توليد الإحساس وتوجيه الانتباه إلى أن المرأة في عالمنا العربي تتعرض لأشكال من الظلم على المستوى الاجتماعي ولكن تلك الحركات العاملة يجب أن لا تقابل التطرف بتطرف مثله فلا تترك موروثات الشرق كلها وتقبل غيرها دون قيد ولا ضابط. من هنا ندرك دعوة الغزالي الحكيمة لرواد النهضة النسائية إلى مراجعة محاسن التراث الإسلامي لمساندة قضاياهم النزيهة إذا أرادوا أن يربطوا حركتهم بالأصالة ويبتعدوا عن المزالق. وقد نجح المتطرفون في توظيف سلبيات التراث لتعزيز فكرة تحقير المرأة فلماذا لا تستمد الحركة النسائية محاسن التراث لتكريم وتمكين المرأة؟ هذا الاتجاه لا يجرِّم الإفادة من سائر الأمم إذا حافظنا على هويتنا المتميزة.

يتفق الغزالي مع الحركات النسائية في الإحساس بالمشكلة وهذا شق مهم ولكنه يختلف معهم جذرياً في منهج المواجهة وآليات المعالجة. لقد حقق الغزالي سبقاً حاسماً في الانفتاح المتزن على الحركات النسائية في الحقل الإسلامي وغيره وعمل جاهداً لتوجيهها نحو الأصالة لتمارس دورها التربوي في التحرير. يرى الغزالي أنه «لا تزال الحاجة ماسة إلى حركة نسائية مؤمنة عاقلة»(١).

(١) حقيقة القومية، ص (٢٠٣).

يقودنا فكر الغزالي لمراجعة شاملة للتقاليد والأعراف العربية أو الغربية التي تحكم حياة المرأة مع الإفادة الموضوعية من تجارب الحركة النسائية. ما زلنا في العالم العربي ننظر للنهضات العالمية في الحقل النسوي نظرة سطحية بعين واحدة تحصي الزلات ولا تتدارس المكاسب. يرى الغزالي أن السكوت عن تقصير المسلمين في حق المرأة لا يقل شراً عن تمجيد التجربة الغربية ولا بد من عودة حميدة لمبادئ ديننا لرسم الرسالة الحضارية للمرأة المسلمة.

لم يتحرج الغزالي من الإفادة من سيرة ومواقف المتميزات في الغرب أمثال «تاتشر» و«الأم تريزا» رغم أن هذا الانفتاح يؤلب عليه خصومه ولكنه لم يكترث لردود الأفعال الصادرة من المعارضين لنهجه. التربية عند الغزالي تعتمد على التفاعل الحضاري في ميدان الثقافة وتبادل التجارب الناجحة مع المحافظة على روح الاستقلال. وفي نفس اللحظة أشار الغزالي إلى غطرسة الغرب وغروره في مسألة المرأة فإن التناقضات الصارخة في استغلال أجساد النساء تكشف زيف الحضارة المادية المعاصرة إلا أن لوم الغرب قد يقل عندما ندرك أن حضارة الغرب لا تستمد مفاهيمها وأطرها من دين معصوم. ويظل العتاب الأكبر موجهاً للمسلمين ممن يملكون رؤية إنسانية خالدة تكرم المرأة ثم يمارسون بعض أنماط الظلم الاجتماعي لمدة قرون عديدة. هذه الحقيقة المرَّة تستدعي دراسات جادة لسبر غورها وتجلية غموضها بصورة منهجية كي نمكِّن الحركة النسائية من ممارسة مهامها الإنسانية في إطار شرع الله وبعيداً عن العادات الراكدة والوافدة.

المحور الرابع: آراء الغزالي وتطوير تعليم المرأة

كيف نستفيد من تراث الغزالي عملياً في تطوير مناهج التعليم وفي مضمار التوعية الجماهيرية؟

يمثل منهج الغزالي في التوجيه الجماهيري ثروة هائلة تشمل مقالات جريئة، وكتب هادفة، وخطب مؤثرة، ومواقف نادرة «فهي ذخيرة لكل مسلم» كما يقول القرضاوي[1]. يستطيع المربون انتقاء مقطوعات تربوية وتعليمية من ذلك الفكر الأصيل النابض وتسخيره لنهضة حضارية تقوم على توظيف طاقات المرأة المعطلة، وجعل قضيتها ركيزة إيمانية لبناء فلسفة واضحة وتحديد معالم استراتيجية محددة لتثقيف المرأة، وتصويب المفاهيم الشعبية الخاطئة، ومراجعة الموروثات الفكرية الشائعة كوظيفة أولى للتربية، والرد على شبهات الغلاة، والتعريف بالتربية الإسلامية عالمياً.

يتمركز فكر الغزالي حول مفهوم إصلاحي هام وهو أن مواجهة التدين الفاسد يكون بالتدين الصحيح لا بترك الدين كما فعل بعض المشتغلين بموضوع تحرير المرأة. وجد الغزالي أن تحرير المرأة لا يكون بإقحامها في وظائف لا تناسبها ولا يتحقق التحرير الفعلي بتهوين دور البيت فتترك المرأة مهنتها الأساسية في المنزل كي تزاول وظيفة كمالية لا

(١) القرضاوي، يوسف: الشيخ الغزالي كما عرفته ص (٥٨).

تحكمها العلاقات المهذبة. طالب الغزالي بتشجيع الواعظات المجيدات لإلقاء الخطب في مساجد العواصم الكبرى في عالمنا الإسلامي كما طالب بتشجيع النساء على مواصلة التحصيل الدراسي والتخصص في أدق العلوم.

يحث الغزالي المرأة على السير والسفر لتتسع مداركها، وتنصقل تجاربها، وتزيد ثقتها، وترتفع همتها فيقول في كتابه **الإسلام والطاقات المعطلة** «فليست السياحة للرجل فقط بل هي للنساء أيضاً»[١]. وهكذا فإن الغزالي يطرح مفهوماً جديداً في وسائل تربية البنات فالمناهج الدراسية والأنشطة الأسرية من المنظور السابق ينبغي أن لا تغفل عن تشجيع البنات على حب الاستكشاف وتوسيع دائرة التعلم عبر زيادة فرص الاستفادة من الخبرات الحية، والزيارات الميدانية مما يساهم في كسر حاجز العزلة المذمومة. إن المدرسة رغم أهميتها ليست البيئة الوحيدة للتنشئة القويمة ولاكتشاف وترشيد طاقات الفتيات كي يلعبن دورهن الحضاري.

وتحدث الغزالي عن عصور الازدهار وعلل أسباب انهيار الحضارة العربية الإسلامية وقال أن تدهور وضع المرأة من أهم الأسباب الاجتماعية فقد حُرمت من فنون العلم ولا عجب أن أفواج الراهبات دخلت إلى ديارنا للقيام على رعاية مستشفياتنا في حين أن نساء العرب قعيدات البيوت وأنشطتهن محصورة في نطاق المتعة الجسدية «والحضانة الغريزية»[٢]. من الواضح أن الغزالي توسع في طرائق رقي عقل الفتيات

---

(١) ص (٣٣).
(٢) حقيقة القومية، ص (٢٠٣، ٢٠٤).

لأنه يعتقد أن فكرة حبس النساء وعقلية السجان هيمنت على عملية التثقيف في ديار الإسلام منذ فترة طويلة. يجزم الغزالي في كتابه **الدعوة الإسلامية** بأن «انهيار التربية السليمة في العالم الإسلامي» يرجع إلى أن المرأة هُمشت(١).

قدم الغزالي رؤيته في تطوير التعليم الديني وبين أن بعض مناهج التعليم تسيء عرض صورة المرأة وطرق التعامل معها(٢) ولا بد من تزويد الذكور والإناث على حد سواء ـ بالقيم السلوكية الإيجابية في تنمية الذات، وتنمية المجتمع، وصناعة الحياة. للغزالي عبارات ومقالات جزلة في تربية الإناث تستحق أن تتخلل مقررات ومواد ومناهج الدراسة. الدراسات الأكاديمية حول صورة المرأة في كتب التعليم الأساسي تطالب بتغيير الاتجاهات السلبية السائدة نحو المرأة وتجسير الفجوة في المعاملة بين الذكور والإناث. تنسب الكتب المدرسية للرجل معظم صفات التفوق «والأدوار الإيجابية في المجتمع، في حين تنسب للمرأة الصفات والأدوار التي تظهر جانب الضعف، وعدم الاستقلالية في إبداء الرأي، أو اتخاذ القرار، وقد لا تظهر هذه واضحة، وإنما في مجملها تتضمن هذه المفاهيم التي تترسخ في أذهان النشء منذ المراحل الأولى»(٣). «يجب أن تعزز المناهج الحديثة الصورة الصحيحة لطبيعة المرأة والابتعاد

---

(١) ص (٧٢)
(٢) علل وأدوية ص (٢٠٦).
(٣) الفريح، سهام عبد الوهاب: الأنماط الشائعة لأدوار الرجل والمرأة في الكتب المدرسية وأدب الأطفال. في حوليات كلية الآداب. الحولية الرابعة عشر ص (٥٨)، سليمان، نجدة إبراهيم علي: صورة المرأة في كتب التعليم الأساسي ص (٢٢).

عن وصفها بالضعف والخوف وسرعة الانفعال والعاطفية الزائدة»[(١)].

انطلاقاً من فكر الغزالي فإنه يجب فتح آفاق التعليم أمام المرأة وعلينا أن نغريها بالمزيد لو حاولت الاكتفاء مثلها مثل الرجل[(٢)]. لقد حذر الغزالي من سوء مغبة تجهيل المرأة ولكن لوائح الكثير من مؤسسات التعلم قد تساوي بين حقوق الرجل والمرأة في الظاهر ولكنها بصورة غير مباشرة تضع العراقيل للحد من تعليم المرأة وإتمام دراساتها العليا فالمرأة التي تقرر إتمام دراستها سوف تفكر وتتردد في هذا الشأن لأن زوجها المرافق لها سيُحرم من مزايا كثيرة مثل بدل السكن أو علاوة الأبناء ـ حسب قوانين البعثات الدراسية أما الرجل فيتمتع عادة بهذه الامتيازات في حال بعثته[(٣)].

وعلى المستوى الفكري فإن الغزالي نادى إلى المسارعة إلى إنشاء «علم اجتماع إسلامي» لأننا لا نزال نحبوا في مجال الأسرة مكتفين بالترجمة والتقليد كما دافع عن مفهوم تعريب العلوم وإسلامية المعرفة[(٤)] مع التأكيد على أنه لا حرج من الإفادة من تجارب غيرنا[(٥)].

ويقول في كتابه **مستقبل الإسلام** « والدراسات الإنسانية والفلسفية

---

(١) ابن جاسم، شيخة يوسف عبد القادر: المرأة والعدالة من منظور ليبرالي ص (١٢٠).

(٢) من هنا نعلم ص (١٦٦).

(٣) الكندري، لطيفة حسين وملك، بدر محمد: تعليقة أصول التربية ص (٢٤٣).

(٤) ولقد أثنى الغزالي على جهود إسماعيل الفاروقي في **الحق المر** (ج١، ص ٩١) ويعتبر الفاروقي من أبرز من كتب عن أسلمة العلوم. يتخوف بعض الباحثين من هذا المصطلح لأنه قد يؤدي إلى التشكيك بالثوابت الدينية (فالح، ٢٠٠٠ م، ص ٣٢٠).

(٥) الحق المر، ج٢ ص (٢٧)، ج٣ ص (١٨٥)، ج٤ ص (٦٥).

قرعت أبوابنا، ودخلت دار الإسلام بإذن أو بغير إذن فما جدوى تجاهلها ومنع دراستها؟ إن الدروس التي تسمى دينية، تكاد تكون صفرا من الحقائق المثيرة، وما يكترث بها إلا الدهماء، ولو اطلع عليها قارىء متجرد لجعلها نتاجا عقليا للفكر الإسلامي من بضعة قرون!

وهذا التخلف يضر الإسلام ويلحق به هزائم شنعاء بين الطوائف المستنيرة. .

وقد رأيت جهودا مخلصة لباحثين في إضفاء الصبغة الإسلامية على العلوم الإنسانية، ولكن الأمر أكبر من جهود رجلين مهما كانت عبقريتهما. . » (بتصرف).

دراسة فكر الغزالي من الأهمية بمكان لمواجهة عدد غير قليل من الدراسات التي تضيق آفاق التربية الإسلامية وتقيد الفكر الإسلامي الواسع بمذهب فقهي محدد لا يخلو من التشدد.

كتب عبدالمنعم إبراهيم (٢٠٠١ م) بحثاً علمياً كما يقول ـ عن تربية البنات في الإسلام وانتقد ضيق الأفق في مقدمة كتابه وأكد في دراسته على أن «الإسلام» كمنهج تربوي يؤكد على أن مستقبل المرأة هو رعاية البيت[١] «وخير للمرأة ألا ترى رجلاً وألا يراها رجل»[٢] وليس للمرأة حاجة للتبحر في العلوم الدنيوية والدراسات الفنية و"المرحلة الجامعية بالنسبة للمرأة هي مرحلة غير أساسية»[٣] وأن «عمل المرأة خارج البيت يحدث اختلالاً في الحياة الزوجية»[٤].

---

(١) ص (١٢٦).
(٢) ص (١٣١ ـ ١٨١).
(٣) ص (١٩٠).
(٤) ص (١٩٤).

جمع الغزالي في كتابه **قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة** الكثير من آرائه التي تفرقت وتكررت في كتبه ورتبها تحت أربعة أبواب مترابطة وهي كما يلي:

١ ـ لنفهم الإسلام أولاً.

٢ ـ صفحات مطوية.

٣ ـ من البيت نبدأ.

٤ ـ مفاهيم يجب أن تصحح.

تصلح هذه الخطوط الأربعة لأن تكون ملامح عامة لخطة عمل تستهدف تفعيل دور المرأة وتثقيفها. الباب الأول يرشد إلى ضرورة تأصيل وعي سليم منبثق من نصوص دينية صحيحة وصريحة تكرم المرأة وتعكس الوسطية واليسر دائماً. والباب الثاني يقدم تطبيق عملي وشواهد تاريخية لما ينبغي أن تكون عليه المرأة، وجاء الباب الثالث ليؤكد على أن البيت محضن كريم لا نفرط برسالته، وأخيراً لا بد من مواجهة الأفكار الخاطئة التي راجت في مجتمعاتنا مع أنها تقلل من شأن المرأة فلا يمكن أن تكون تصرفاتنا صالحة وعندنا تصورات خاطئة تسكن ذاكرتنا الجماعية وثقافتنا الشائعة. آثر المؤلف أن يعالج كل المسائل السابقة عبر مقالات مركزة وقصيرة كي تكون أقرب لقلب وعقل القارئ وهي طريقة من طرائق تجديد الوعي جماهيرياً ومواصلة الإصلاح المنهجي.

ضرورة مراجعة وتجديد فكر المصلحين

يتكون الفكر التربوي من رصيد هائل من الابتكارات والنظرات والتجارب الناجحة والمتعثرة ولا يمكن أن نعثر على مفكر لم يتأثر بغيره بطريقة صريحة مباشرة أو ضمنية غير مباشرة وكلما استقل المفكر عن الأفكار السائدة في عصره، استطاع رسم شخصيته بمزيد من رحابة الأفق والسيادة وكانت السمة الغالبة له حرية التفكير الذاتي ومؤازرة التنوير الموضوعي الذي ينتفع من السياق الثقافي الذي يعيش المفكر فيه دون أن ينساق ذهنه إلى نتاج الآخرين لئلا يكرر ما قالوه ويصبح ذهنه رهينة في التقليد والتدوين والنقل والتفريع في مسائل عديمة النفع.

يقف المفكرون في كل عصر ضد العقم الفكري والتزمت والجمود ولولا الإنتاج الفكري المتجدد لأصبح التاريخ باهتا بل تصبح الحياة بائسة فالعقل نعمة عظيمة تتجلى في الاجتهادات التي تسع كافة الأصعدة النافعة.

يقف الغزالي بين دعاة الإصلاح كالطود العظيم، متعدد المواهب والملكات، راض بجدارة ميدان التأليف والمحاضرة والمناظرة؛ فلم يكتفِ بجانب واحد من جوانب الفكر الإسلامي؛ بل شملت مؤلفاته وخطبه ومناقشاته: التجديد في الفقه السياسي ومحاربة الأدواء والعلل النفسية والاجتماعية، والرد على خصوم الإسلام، والعقيدة والدعوة والأخلاق، والتاريخ والتفسير والحديث، والتربية وفن الذكر وتجديد

الحياة[١].

يتميز فكر الغزالي في معظم الأصعدة بأنه يعتز بالمصلحين ويقر بفضلهم الكبير، ويقدر مواقفهم النبيلة، ويتخير من آرائهم الثرية ولكن لا يتحيز لفكر واحد منهم مهما جل شأنه، وارتفع صيته. التربية الصحيحة هي القوة الفعلية لنهضة الأمم دوماً ورغم أن الغزالي شديد الإعجاب بالأفغاني وفكره في الإصلاح السياسي إلا أنه لا يعتبر تغيير الحكومات هو الحل الجذري لأن رفع مستوى الشعوب[٢] والجهاد التربوي كما فعل محمد عبده هو أقرب مناهج الإصلاح للصواب. لهذا توجه الغزالي نحو دراسة أحوال المجتمع المسلم فجاءت قضية المرأة، وتوسيع دائرة تعليمها، وفتح المجال لمساهماتها في مقدمة منهاجه العملي في الإصلاح الاجتماعي. وهو مسار طويل بدأه ابن باديس والإمام محمد عبده، وتلميذه رشيد رضا وجاء الغزالي بعد حسن البنا فوسَّعه وعمق نطاقه دون التقليل من شأن الإصلاح السياسي.

يتفق الغزالي مع محمد عبده في تقديم العمل التربوي الجماهيري على العمل السياسي الضيق «فالفساد يهبط من أعلى إلى أدنى، والإصلاح يصعد من أدنى إلى أعلى»[٣]. يقول الغزالي في **مستقبل الإسلام** « والكلمة الأخيرة لأمتنا: إن الملل الأخرى حتى ، الوثنية طامعة فيكم! والذي يغزى في عقر داره يذل، فإلى متى تنتظرون؟ تشبثوا بالإسلام وأصلحوا أجهزته العلمية والإدارية، وأروا الناس حقائقه! تظفروا بالحسنيين...».

(١) تمام، أحمد: الغزالي فارس الدعوة والتبليغ، موقع سلام أون لاين.
(٢) الحق المر، ج٢ ص (١٦٢).
(٣) محاضرات الشيخ، ص (١٣٩).

التربية أولا من أهم أولويات الإصلاح في استراتيجيات الغزالي نحو التغيير. تقول الكاتبة مريم النعيمي «وأرى أن كل خطوة باتجاه تجسير الصلة ما بين المعرفة وبين أبناء هذه الأمة يجب أن تقابل بالتشجيع والتقدير لأن البدء من هنا . ومن ظن أن ثمة بدايات لتغيير واقعنا بعيدا عن إعادة تأهيل الإنسان فكريا وشحنه بطاقة معرفية متجددة لا تنضب فهو واهن وعاجز عن بلوغ الحكمة ونيل البصيرة».

يؤيد الغزالي ابن باديس المصلح الجزائري الكبير الذي آمن بحق المرأة في التعلم وطالب بمشاركتها في عملية بناء الأمة[(١)]. ولا شك أن ابن باديس اعتبر تعليم المرأة وفق الضوابط الدينية من أهم دعائم التربية ولا بد من تعليمها مجانا[(٢)].

قرأ الغزالي كتابات محمد فريد وجدي وعبقريات العقاد إلا أنه لم يتبع تيارهما القائم على سلطة التفسيرات الدينية المحافظة وضرورة تحجيم دور المرأة[(٣)] فوظف الغزالي فكره وقلمه ولسانه وجهوده لفضح ممارسات المسلمين في تقليل إسهامات النساء وتعقب أنماط الظلم الاجتماعي ضد المرأة في مجتمعاتنا مع التأكيد دائما على تكريم الإسلام للمرأة.

قام حسن البنا بدعم قضية المرأة[(٤)] والغزالي شديد الإعجاب

---

(١) تراثنا الفكري ص (٤٨)، والقرضاوي: الشيخ الغزالي كما عرفته ص (٦٢).
(٢) حميداتو، مصطفى محمد: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية ـ سلسلة كتب الأمة القطرية (عدد رقم ٥٧، سنة ١٤١٨ هـ).
(٣) صالح، أماني وأبو المجد، زينب، ومصطفى، هند: المرأة العربية والمجتمع في قرن ص (٥١).
(٤) مهلهل، جاسم محمد: للدعاة فقط ص (٨٦).

بحسن البنا وظل وفياً لأفكاره الإصلاحية الشمولية ولكنه لم يقرر أنه ليست للمرأة حاجة في التبحر في العلوم الدنيوية وحسبها أن تتعلم ما هي في حاجة إليه كما فعل البنا[١]. لقد أضاف الغزالي قضية المرأة للأصول العشرين التي صاغها البنا كأساس لبرنامجه الإصلاحي. وضع الغزالي في كتابه **دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين** أصلا هاماً من أصول الإصلاح والحياة الكريمة فقال في الأصل الأول: «النساء شقائق الرجال، وطلب العلم فريضة على الجنسين كليهما، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وللنساء في حدود الآداب الإسلامية حق بناء المجتمع وحمايته»[٢]. هذا أصل أصيل يمثل عصارة منهج الغزالي في توحيد الأمة وفق أهداف مرسومة أضافها لمنهج حسن البنا وأصوله العشرين. ركز البنا في كتابه **المرأة المسلمة** على دور المرأة داخل البيت. يتفق محمد منير الغضبان في **اضواء على تربية المرأة** مع البنا على أن المرحلة الجامعية للمرأة هي مرحلة غير مهمة[٣] بينما يطالب الغزالي دائماً بتشجيع المرأة على التعلم شأنها شأن الرجل.

يقول فتحي يكن (٢٠٠٤ م) «والإمام البنا بعكس ما يذهب إليه الكثيرون ممن يعتبرون أنفسهم ملتزمين بخطه ونهجه ـ يدعو المرأة لتأخذ دورها كاملاً في إطار دعوته، متجاوزًا كثيرًا من العادات والتقاليد التي لا تمتّ إلى الإسلام بصلة، فهو يعلن أن: «دعوته تعنى بالرجل عنايتها بالمرأة، وتعنى بالطفولة عنايتها بالشباب"، وأن الإسلام يسمح للمرأة بالمساهمة في النشاط الاجتماعي إذ كان العمل خيريًّا والوسط نسائيًّا،

(١) البنا، حسن: المرأة المسلمة ص (١٠).
(٢) دستور الوحدة الثقافية ص (٢٣٢).
(٣) ص (١٢٦).

كما يسمح لها بالعمل في الوظائف إذا كانت هنالك ضرورة، كما يعترف بحقوق المرأة السياسية».

استعرض الغزالي في **دستور الوحدة** رأي محمد قطب في كتابه **التربية الإسلامية** في التعامل مع نتاج الغرب إذ يرى الغزالي إمكانية الاستفادة من بعض المفاهيم الديمقراطية كوسيلة لخدمة الفضائل(١) رغم تحفظ محمد قطب على هذا التوجه.

السياق الثقافي هو الذي يصبغ العمل التربوي ويحدد حركته لهذا قام الغزالي بإصلاح الخلل العام دون خوض كبير بتفاصيل العمل التربوي. لقد أخذ الغزالي بطرف من إبداع المصلحين من قبله كما أعمل عقله في صياغة منهاجه المتميز لتحرير المرأة باسم الإسلام عبر قناة التثقيف العام (Enculturation). لقد أخذ الغزالي من «الأفغاني» التفكير في القضايا الكلية، ومن عبده التركيز على عملية التربية والثقافة العامة، ومن «رضا» التقيد بدقائق الضوابط الشرعية مع ربطها بمقاصد الشريعة، ومن «ابن باديس» و«البنا» قيادة الجماهير وفن التأثير.

رغم خلافه الشديد مع توجهات طه حسين الإصلاحية إلا أن الغزالي يذكر سبقه في قبول الطالبات في كلية الآداب بالقاهرة لأول مرة في تاريخ التعليم فيقول «وفتحت بعد ذلك بعشرين سنة كليات للفتيات في الأزهر. لقد استيقظ بعدما فاته القطار. إن التدين القاصر ينيل أعداءه مكاسب كبيرة دون جهد يبذلونه»(٢).

---

(١) ص (٢٠٠).
(٢) علل وأدوية ص (٩٢).
أحمد، عمر عبد الله عبد الرحيم، فكر الشيخ محمد الغزالي في إطار مدرسة الإصلاح الإسلامي بمصر ص (٣٨٤).

ويقول الغزالي عن الأزهر في عصوره المتأخرة « وقد كان علماء الأزهر القدامى أقدر الناس على علاج هذه الفتن، فهم يدرسون الإسلام دراسة تستوعب فكر السلف والخلف والأئمة الأربعة كما يدرسون ألوان التفسير والحديث وما تتضمن من أقوال وآراء..

لكن الأزهر من ثلاثين عاما أو تزيد ينحدر من الناحية العلمية والتوجيهية. ولذلك خلا الطريق لكل ناعق، وشرع أنصاف وأعشار المتعلمين يتصدرون القافلة ويثيرون الفتن بدل إطفائها.

وانتشر الفقه البدوي، والتصور الطفولي للعقائد والشرائع»(١).

رغم نقد الغزالي للأزهر فهو يقر بأنه يحمل فوق عاتقة أمانة الدعوة ويكفي الأزهر فخرا أنه أنجب مثل الغزالي واستقطب العلماء عبر القرون ولقد قال شوقي مادحا الأزهر وهو محق:

قُم في فَمِ الدُنيا وَحَيِّ الأَزهَرا   وَانثُر عَلى سَمعِ الزَمانِ الجَوهَرا

الغزالي فقيه حر قد يخالف الفكر السائد ولا يهاب النقد النزيه. لقد ضيق كثير من الفقهاء والمفكرين نطاق عمل المرأة وقللوا من قدراتها القيادية مما انعكس أثره على عملية تنشئتها فالتعليم هو إعداد الفتاة لإدارة شئون البيت فقط أما الغزالي فإنه في كتبه الأخيرة قد وسَّع دائرة مشاركتها في عملية التنمية واستقر منهجه على أن المرأة ذات طاقات قيادية خلاقة لا تقل عن الرجل ويجب استثمارها باستمرار بالتربية الصحيحة مع التأكيد على المواءمة بين عمل المرأة في البيت وفي المجتمع.

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه والحديث ص (١٥).

ترى الكاتبة ليلى عبدالوهاب أن رموز الفكر الإسلامي من أمثال حسن البنا وسيد قطب والشعراوي قاموا بتقرير تفوق الرجل نظرا لما يتمتع به من خصائص بيولوجية ونفسية وهذه النظرة ولدت توترا كبيرا في العقل العربي وشكل توجها متشددا نحو قضايا المرأة. قالت الكاتبة «ونستطيع أن نلمس الفارق الكبير بين الخطاب الإسلامي الحديث كما عرضنا له من خلال آراء وكتابات الطهطاوي ومحمد عبده وقاسم أمين وبين التيار السلفي المعاصر من موقف كل منهما تجاه المسائل نفسها التي كانت مطروحة وما زالت. فبينما يقرر الطهطاوي ضرورة الاختلاط بين الفتى والفتاة في المرشد الأمين للبنات والبنين، نجد الخطاب السلفي المعاصر يقف موقفاً متشدداً من موضوع الاختلاط في التعليم بين البنات والأولاد ويعتبره مفسداً للأخلاق كما يشبهون دعاة الاختلاط بالمشركين الذي يتحدثون بمنافع الخمر وينسون إثمه الكبير. ويعارض أصحاب الخطاب السلفي التعليم الحديث باعتباره وافداً غريباً ويؤكدون على ضرورة التعليم الديني للفتاة تشبهاً بالسيدة عائشة، كما يرون أن التعليم الجامعي غير أساسي، فالأصل في هذه المرحلة أن تكون المرأة وصلت إلى بيت الزوجية وأسست أسرة جديدة، عملاً بتوجيهات الإسلام بضرورة الزواج المبكر.

وفي العلاقة بين المرأة والرجل في المجتمع يحرم الدعاة السلفيون على المرأة التعامل والتخاطب مع الأجنبي عنها...

إن الأمر لم يتوقف عند تزييف وعي المرأة من خلال خطاب دعاة السلفية بكل إنجازاتها التاريخية وأدوارها ومشاركتها الاجتماعية، بل وصل إلى حد تزييف التاريخ إذ يتهمون دعاة تحرير المرأة وقادة الحركة النسائية بالعمالة للاستعمار والصهيونية» (باختصار).

يهاب الباحثون التعرض إلى قضايا المرأة خوفا من التصنيف الجائر وتأليب العامة ولهذا تكثر الأبحاث والدراسات عن المرأة ولكنها تساير الطرح العام الذي يألفه الشارع العربي وجاء الغزالي بمواجهة فكرية تحمل في طياتها أساسيات مشروع شجاع لا يخضع لحسابات العادات الراكدة أو الوافدة. من هنا كانت مبادرات الغزالي الفكرية الثرية مثيرة للجدل للعامة والخاصة على حد سواء.

النتائج

من خلال استقراء فكر الغزالي نجد أن علم الدين يكمل علم الدنيا ويرشد إليه والعكس صحيح فالدين يقوم على مبدأ إعمال العقل، وإعمار الحياة. الرجل مع المرأة يتحملان هذه الرسالة السامية التي لا تتحقق إلا بالتربية القويمة التي تزكي الخلق، وتنمي المواهب والاستعدادات، وتوسع المدارك، وتحسن السلوك. جاءت التربية الإسلامية لإسعاد النفس ولتسيير أمور الناس باليسر والسماحة لخدمة غايات دنيوية ودينية نبيلة ولكن الفكر التقليدي ضيَّق واسعاً وكبَّل ثقافتنا المعاصرة بقيود اجتماعية ثقيلة ليست من محكمات الدين كما أن التسليم المطلق لفكر الغرب عند بعض المثقفين أوقع العرب اليوم في مهاوي لا تقل خطورة عن التشدد والتدين الفاسد وهذا الأمر جعل الغزالي يبني فكره الإصلاحي الحر على نقد كل الأعراف الراكدة والوافدة لا سيما في حقل تربية النساء.

كان الشيخ الغزالي وما زال فكره من أجرأ من تناول أحوال المرأة بالتنظير والتحليل والكتابة الرشيقة، وتميزت رؤيته التجديدية بالموضوعية إلى حد كبير كما اتسمت توجهاته بالمبادرة «في الطرح والتناول، فقد مثلت المرأة في فكر الغزالي قاسمًا مشتركًا في مؤلفاته الغزيرة ومعاركة الفكرية التي خاضها لتصحيح الأوضاع الفاسدة. . . هذا هو الشيخ محمد الغزالي أحد المفكرين الذين عرفوا بدفاعهم عن حقوق المرأة وحاولوا إعادة حقها المسلوب، بيد أنه تميز عنهم بكونه أجرأ من دافع عن حقوقها الإسلامية وأشدهم تعاطفًا أمام قهرها وانكسارها الاجتماعي واستمرارًا لمتابعة قضيتها وحتى آخر يوم من حياته، لقد نظر إليها على

أنها قضية دينية لا قضية رجل وامرأة»[١].

يقول محمد عمارة عن نتيجة بحثه في فكر الغزالي: «لقد أدركت وأنا الذي سبق ودرست الآثار الفكرية لأكثر من ثلاثين من أعلام الفكر الإسلامي، وكتبت عنهم الكتب والدراسات ـ أدركت أنني حيال الشيخ الغزالي لست بإزاء مجرد داعية متميز، أو عالم من جيل الأساتذة العظام، أو مؤلف غزير الإنتاج، أو مفكر متعدد الاهتمامات، أو واحد من العاملين على تجديد فكر الإسلام لتتجدد به حياة المسلمين.. أدركت أنني بإزاء جميع ذلك، وأكثر منه وأهم»[٢].

تركز فلسفة الغزالي التربوية على ضرورة الإصلاح الشامل وضرورة تقديم الفكر الإسلامي المنفتح «عن طريق السلوك الحميد، وعن طريق التعاون مع كل من يمكن التعاون معهم»[٣]. لأن الحكمة لا وطن لها فأينما وجدها المسلم فهو أحق الناس بها. حاول الغزالي في تفسيره للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتراث الإنساني الضخم أن يرسم معالم التربية الإسلامية السليمة ويستخلص جوهر المنهج المتفتح الذي أرساه الإسلام فجاءت أطروحات الغزالي ومقالاته المتفرقة، وكتبه الكثيرة، وأشرطته السمعية المتنوعة لحل المشكلات الثقافية والاجتماعية المعاصرة. يرى الغزالي أن بعض العادات الجائرة في مسألة تنشئة المرأة عقبة كؤود في طريق تكوين شخصية مستقلة تمارس حقوقها في الاختيار وصنع القرار فلذلك خصص جهاده الفكري لمعالجة الموضوعات ذات الصلة بهدف النهوض بالمرأة.

---

(١) سعداوي، وفاء (٢٠٠٤ م) موقع إسلام أون لاين، باختصار.
(٢) عبد الستار، فتحي: الغزالي فارس الدعوة، موقع إسلام أون لاين.
(٣) العدوي، عبد الرحمن: الإمام الغزالي الدعوة والداعية ص (١٥).

تقوم فلسفة الغزالي التربوية على الإيمان بالفروق الفردية ورعاية المواهب الإنسانية وتشغيل الطاقات المعطلة وعلى رأس هذه الطاقات الثمينة طاقات المرأة التي مازالت مبعثرة وغير مستثمرة على الوجه الأكمل. قال تعالى ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٤٨] وهذه الآية الكريمة تتطابق مع توجيه النبي صلى الله عليه وسلم «كلٌ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» أي «كل يمضي حسب قدراته»[1] والله سبحانه قد خص النساء بطاقات متنوعة تنمو مع التعلم، والتجارب، والسياحة ولكن المجتمعات بعاداتها الوافدة أو الراكدة قد تخلق مصاعب تحول دون ذلك ولا بد من تقويم الأوضاع الاجتماعية استناداً إلى تعاليم الإسلام. الإسلام نظام شامل للحياة ويستوعب طاقات النساء الهائلة ويحدد طرائق تفعيلها ولكن الخطورة تكمن في الجهل المركب والفهم القاصر لطبيعة الدين ومقاصده العامة.

يرى الغزالي أن تراثنا الفكري يعاني من انحراف واضح في فهم رسالة المرأة الحضارية وأن مظالم كثيرة تقع على المرأة حتى ضاق نطاق تثقيفها وأنه قد آن الأوان لأن نبدأ بالتصويب والتمحيص كي نكشف الحقيقة دون تراخ أو خوف بشرط الموازنة بين التحديات المدنية والمرتكزات الدينية. هاجم الغزالي فكرة عزل المرأة وتجهيلها كما أنه لم يهادن من يدعو للمساواة والتحرير وفق المنظور العلماني.

من الملاحظ أن الغزالي في مشروعه الإسلامي الرائد في تحرير المرأة لم ينتقد سلبية المرأة المسلمة عندما تخلت عن ممارسة حقوقها الشرعية وكان يلوم التفكير الجامد المتأثر بالبيئة عند بعض الفقهاء، وكان

(١) الطريق من هنا ص (٥٠).

يلوم التدين الفاسد، وكان يلوم الهجمات التغريبية. ونعتقد أن ما سبق من أهم أسباب اختزال دور المرأة في دائرة نمطية محدودة إلا أن تنازل المرأة عن المطالبة بممارسة حقوقها بصورة شاملة من الأسباب الهامة لتدني مستوى عطائها الحضاري. الحقوق تؤخذ ولا تعطى ورحلة الإصلاح تبدأ فيما نرى ـ بفتح باب النقد الذاتي الموضوعي كما شرع بذلك الغزالي ونتمم مسيرة مشروعه الحضاري بدراسة أمينة لأسباب انتكاس مكانة المرأة مع العمل على تفعيل دورها بعد التفريط المشين الذي أصاب مفهوم: النساء شقائق الرجال في تعمير الأرض بالشورى والحكمة، والنشاط والحركة.

يجب أن يتوجه الإصلاح اليوم أولاً لنخل لا نقل التراث كما تدل معطيات هذه الدراسة. الحاجة ماسة لنقد التصورات الشعبية الخاطئة ومراجعة الأفكار الإصلاحية السابقة بغرض تطويرها. إن توصيل وتعزيز وتطبيق ثقافة الحوار والحرية والاختيار من أولويات التربية الحديثة وعندما تمارس المرأة هذه الحقوق فإنها تكون قد قطعت شوطاً كبيرا نحو التقدم.

أكد الفيلسوف الأمريكي برامل ثيودور (١٩٠٤ ١٩٨٧ م) (Brameld, Theodore) على وظيفتين للتربية هما أهم وظائف التربية عموماً. الوظيفة الأولى هي نقل التراث (To transmit culture) والوظيفة الثانية هي تعديل التراث (To modify culture) وإذا الدولة والأمة في حالة خطر فإن الوظيفة الثانية تعديل وتطوير التراث تصبح أكثر أهمية (Conrad, 2003, vol.1. p.207) تتفق نظرية برامل مع فلسفة الغزالي التربوية في إعادة بناء الفكر والتعامل مع الأزمات الكبرى من خلال نخل لا نقل التراث.

الخلاصة

قام هذا البحث بدراسة فكر الشيخ الغزالي فيما يتصل بتربية وتعليم المرأة وذلك من خلال التركيز على أربعة محاور تمثلت بأسئلة البحث وهي تدور حول الآتي:

١. التعريفات وتشمل نظرات الغزالي لمفهوم التربية والتعليم والثقافة وبعض وسائل التربية.

٢. المنطلقات التي استند إليها الغزالي في رؤيته لتعليم المرأة.

٣. التحديات التي تواجه تعليم المرأة.

٤. المقترحات التي يمكن استخلاصها من فكر الغزالي لاجتياز التحديات السابقة.

قام الباحثان بتتبع الكثير من الآراء المتفرقة في موضوع تربية المرأة وبث الوعي بقضاياها المعاصرة عند الشيخ الغزالي وذلك عبر استقراء الجزئيات بقصد الحصول على رؤية كلية لهذا الموضوع الذي يمس مستقبل الأسرة والمدرسة والمجتمع على حد سواء. أفكار الغزالي مبنية على الشك المنهجي وتعكس اجتهادات مصلح تمرس في استخلاص منهج التربية الإسلامية في مسائل حساسة لا يسلم من يخوض فيها من الجرح والنقد. عالج الغزالي تعليم المرأة في سياقه الثقافي العام وقرر قابليتها للتعلم في أوسع نطاق ويجب تحرير تربيتها من القوالب التقليدية التي تضيق ميادين تعليمها، وتثبط طموحاتها، وتعطل طاقاتها. صاغ الغزالي نواة مشروع له خطوطه العريضة لنهضة نسائية رشيدة، قوامها

العلم النافع، والإيمان الصحيح، والبرامج المرسومة، ونخل لا نقل التراث.

يرى الغزالي أن تدحرج وضع الأمة المسلمة إلى العالم الثالث في ميدان العلم والتربية والإنتاج يعود كفل منه كبير إلى تقاليد متشددة، وفقه منغلق، ورؤية ظالمة في معاملة الإناث فحجبت مواهب المرأة الضخمة من عبير الحرية والإبداع لفترات تاريخية امتدت لعدة قرون في جميع المجتمعات المسلمة فأنتجت الجهل وأخلت بمفهوم التوازن والعدل فظن البعض جهلا أن الإسلام الذي أنصف المرأة ينتقص حق النساء. هذا التوجه جعله يساند بقوة فكرة تحرير المرأة على ضوء الرسالة الإسلامية.

خالف الغزالي في كتاباته الأخيرة الفقه التقليدي وحاول وضع أساسيات فقه تربوي مُقنِع يفتح كافة الفرص التعليمية الممكنة والمتاحة لرفع مستوى الإناث والوصول إلى أقصى حد ممكن وبما يتماشى مع استعداداتهن وطالب الشيخ بالمداومة على تشجيعهن للمشاركة البناءة في التنمية في مختلف القطاعات لدفع عجلة التقدم في المجتمع المسلم. هذا الفقه التربوي التكافلي اجتهد في أن يعالج الانحراف الفكري في قضية تعليم الإناث والذي استمر لمدة قرون ولا مفر من تنقية التراث قبل نقلة إن أردنا استئناف تعليم المرأة وفق آفاق رحبة، وأساليب عصرية، وفلسفة متفتحة تنظر للمرأة والرجل نظرة تكامل لا تفاضل.

مقتطفات من كلمات ومقالات الشيخ

المرأة بين رحمة الشارع وقسوة الشارح

«إننا نبلغ الإسلام النازل من السماء، ولسنا مكلفين بنقل عادات العرب من بدو أو حضر !!

و لكن أصحاب الأمزجة السوداوية مولعون بالحظر والتضييق على الخلق! وأولئك يسيئون إلى الدعوة إساءة بالغة، فالدعاة مأمورون أن ييسروا ولا يعسروا، وأن يبشروا ولا ينفروا..!!

وعندما يرفض الناس التعسير والتنفير فهم يرفضون أمزجة بشر ونزعات أفراد معلولين، ولا يعصون أوامر الله.

إن هذه الضمائم المنضافة إلى الحق هي نتاج أزمنة جارت عن الطريق، وغلبتها أهواء سلاطين أو ميول عوام يتعصبون لتقاليدهم أكثر مما يتعصبون لتعاليم الإسلام..

ولو فرضنا جدلا أن لها بالدين علاقة، فهي اجتهادات ناس لا حق لهم أبدا في فرضها على الآخرين ولا لوم أبدا على من رفضها.

كنت إذا درست لطالبات الجامعة بدأت محاضرتي بإلقاء السلام، ومكثت على ذلك ما شاء الله حتى قالت لي طالبة ذات يوم: إن الأستاذ الذي يعلمنا السنة أفهمنا أن إلقاء السلام على النساء حرام! فقلت مسرعا: هذا خطأ، فإني قرأت في السنن أن النبي صلى الله عليه و سلم

كان يلقى السلام على النساء، وقد ذكر البخاري في صحيحه بابا لسلام الرجال على النساء والنساء على الرجال يفيد إباحة ذلك، وعلى أية حال فسألقى زميلي وأتثبت منه فلعلي أنا مخطئ !

والتقيت بالزميل وهو رجل غيور صالح دارس لعلوم الحديث، وقصصت عليه ما حدث..

فقال: نعم ذكرت للطالبات أن السلام عليهن لا يجوز! وما تسوقه أنت في باب الجواز من أحاديث تبيح ذلك إنما هو خصوصية للنبي عليه الصلاة والسلام! أو عند أمن الفتنة! أو إذا كان النسوة عجائز، أما إلقاء السلام على الفتيات الجميلات فلا...

قلت: دعوى الخصوصية مرفوضة، والسياق عند البخاري وغيره يبيح لنا إلقاء السلام دون تصفح للوجوه هل هي جميلة أم لا!! ولا أدري من أين أتى الشارح بهذا التقسيم؟

قال: لا بد من احترام قول الشارح!!

في حديث خروج النساء إلى مصلى العيد أكد الرسول صلى الله عليه و سلم هذا الخروج بقوله « من لا جلباب لها تستعير جلبابا من جارتها وتخرج! ونص على أن الخارجات هن العواتق وذوات الخدور أي الشابات المكنونات، وجاء عن ابن عباس أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يخرج نساءه وبناته في العيدين... ومع ذلك فإن شارح البخاري نبه إلى أن الخارجات المأذون لهم هن العجائز (!) وأن النساء الخارجات إذا خرجن بإذن أزواجهن فبملابس الخدمة، أي ملابس الطبخ والكنس (!)

لم هذا كله؟ ومن نتبع الشارع أم الشارح؟ لقد انتهى رأي الشراح بمنع خروجهن نهائيا، وغلبت تقاليد العرب تعاليم الإسلام..

والذي نلفت إليه الأنظار أن هناك علماء دين ورجال دعوة يعرفون قول الشارح وحده، فإذا انهزم هؤلاء وأولئك في ميادين الحياة فهل الذي إنهزم السنة النبوية أم الذين أساءوا فهمها؟؟

إن حظ الإسلام تعيس بهذا التفكير المعوج. . . (**مستقبل الإسلام**، باختصار يسير).

من العجز إلقاء تبعات فشلنا على الآخرين

«وألفت النظر الآن إلى أن الدعوة لا تنتهي بخطبة بليغة أو حوار ناجح! فقد دخل ميدانها أطباء ومهندسون وكيماويون وزراعيون تساندهم هيئات متخصصة. وتمهد أمامهم الطريق.

والرجال والنساء سواء في خدمة الغرض المحدد، ونحن ذاهلون أو مشغولون بما لا يجدي. .

قرأت في أخبار العالم الإسلامي (١٧ ـ ٢ ـ ١٤٠٣ هـ) هذا الخبر تحت عنوان «من أساليب التنصير الماكرة»:

راهبة فرنسية الجنسية اسمها أمانويل. نشرت بعض الصحف العربية بأنها تسعى في القاهرة لإقامة مصنع تحيل به الصحراء إلى بساتين وجنات. وتفكر في إقامة المصنع لاستغلال الزبالة، وتحويلها إلى أسمدة زراعية ليعود ريع هذا المشروع الضخم إلى زبالي مصر. وقد قامت مؤسسة الأرض الخيرية الفرنسية بالتبرع بمبلغ ٨٥ ألف دولار من أجل تنفيذ هذا المشروع الذي بلغت جملة تكاليفه ٣٠٠ ألف دولار. وتقوم هذه الراهبة بجولة في الدول الأوروبية الأخرى لجمع المزيد من التبرعات لتتعجل تنفيذ مشروعها «الإنساني» هذا.

إن الشيء المؤسف أن تشيد هذه الصحف التي أوردت النبأ بتلك

الراهبة «الخيرة» وبمشروعها «الإنساني»، قائلة عنها أنها تقوم «بمعجزات» لمساعدة زبالي مصر ورفع مستوى معيشتهم بعد أن عايشت فقرهم ومعاناتهم، مؤكدة أنها ستحول أرض مصر إلى جنات خضراء تنتج الخضر والفاكهة وتجلب الرخاء لعشرات الآلاف من أبناء مصر. إذ كيف يفوت على ذكاء هذه الصحف مثل هذه الأساليب الماكرة وهذه الخطط التنصيرية البعيدة المدى رغم أن صاحب الفكرة ومهندسها ومنفذها راهبة، والشيء المؤسف أن تلك الصحف العربية الإسلامية لم تسكت على إيراد النبأ مجردا فحسب، إنما أخذت تمجد هذه «البطلة» وتشيد بمشروعها « الإنساني» وتصفها « بالأخت».

عندما قرأت هذا الخبر لم يستوقفني خداع المخدوعين في الثناء على المشروع المقترح، فربما كان هذا الثناء عن غفلة! والغزو الثقافي صنع الألوف من الغافلين، وربما كان عن تواطؤ متعمد! والغزو الثقافي صنع كذلك الألوف ممن يخدمون المنصرين على حساب الإسلام والمسلمين. . . !

ولكني تساءلت: هذه راهبة أخلصت لوظيفتها إخلاصا فتق لها الحيلة، وكشف لها الميدان الذي تدعم به دينها، فأين كنا؟ ولماذا لم نسبق إلى أداء واجبنا؟

إن هذه السيدة لها أخت في الهند نهضت بأضعاف هذا الجهد المثمر، وقد نالت جائزة « نوبل» وذهبت إليها ملكة انجلترا لتقلدها أرفع وسام إنكليزي تقديرا لها. .

إننا غزينا في عقر دارنا! لا غزوا عسكريا ولكن غزوا عقائديا، ومن العجز إلقاء تبعات فشلنا على الآخرين. . .

وأمتنا ملأى بنفوس مؤمنة حافلة بالنشاط والذكاء، بيد أن الأبواب أمامها موصدة! من أوصدها؟ أعرف نساء أرجح من الراهبات الآنف ذكرهن، أعياهن الاعتقال والابتذال والتعرض لما لا يقال!

وأعرف منهن من تقدر على الكثير ولكنها لو خرجت لمثل ما نجحت فيه تلك الراهبات لقال لها ثرثار سليط: ارجعن مأزورات غير مأجورات!![1].

(١) مستقبل الإسلام.

مقتطفات من كتاب السنة النبوية

فيما يلي مقتطفات من كتاب السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث للشيخ الغزالي اجتهدنا في اختصار بعضها ووضع بعض العناوين لها مع التعليق أحيانا:

هذه عقيدتي وغايتي

«فوجئت بصدور خمسة طبعات في خمس شهور من هذا الكتاب! مما دل على ظمأ القارئ المسلم إلى العلم النافع والدراسة النزيهة..

واتفقت مع الناشر على أن تصدر الطبعة الجديدة وبها زيادات ذات بال، انتفعت فيها من تصويبات أهل الذكر الذين حاورتهم أو كتبوا إلي أو سمعت صوتهم من بعد..

وقد شتمني بعض الناس فوجدت الإعراض أولى! ...

لكن الشتم الذي أوجعني اتهام البعض لي: بأني أخاصم السنة النبوية!!.

وأنا أعلم أن الله ورسوله أحب إلي مما سواهما، وأن إخلاصي للإسلام يتجدد ولا يتبدد، وأنه أولى بأولئك المتحدثين أن يلزموا الفقه والأدب..

فغايتي تنقية السنة مما قد يشوبها!

وغايتي كذلك حماية الثقافة الإسلامية من ناس قيل فيهم: إنهم يطلبون العلم يوم السبت، ويدرسونه يوم الأحد، ويعملون أساتذة له يوم

الاثنين. أما يوم الثلاثاء فيطاولون الأئمة الكبار ويقولون: نحن رجال وهم رجال!!.

وهكذا بين عشية وضحاها يقع زمام المسلمين الثقافي بين أدعياء ينظر إليهم أولو الألباب باستنكار ودهشة» (باختصار).

لمس المرأة

وقد أوجع فؤادي أن بعض الشباب كان يهتم بهذه المسألة: هل لمس المرأة ينقض الوضوء أم لا؟.

وكان اهتمامه أحد وأشد من إجراء انتخابات حرة أو مزورة!!»[(١)].

دية المرأة

«وأهل الحديث يجعلون دية المرأة على النصف من دية الرجل، وهذه سوأة فكرية وخلقية!.

فالدية في القرآن واحدة للرجل والمرأة، والزعم بأن دم المرأة أرخص، وحقها أهون زعم كاذب مخالف لظاهر الكتاب.

إن الرجل يقتل في المرأة كما تقتل المرأة في الرجل، فدمهما سواء باتفاق، فما الذي يجعل دية دون دية؟.

كنت في مجلس مع أستاذنا مصطفى الزرقا، فقال لي: إن الدية تعويض عن مفقود! وفي العوض يلاحظ التكافؤ ومقتل الرجل خسارة للأسرة أفدح من مقتل المرأة، والفقهاء لم يفكروا قط في إهانة المرأة مادياً أو أدبياً، وإنما نظروا في قيمة العوض المطلوب!.

---

(١) ص (١٣).

ثم قال: إن القوانين الغربية لم تسو بين المرأة والرجل في أجر العمل، ولم تسو بينهما في تصرفات مالية شتى، إنما سوت بينهما في فرص اللذة الحرام والحلال!!.

وقال الأستاذ معروف الدواليبي: إنه عندما كان يشارك في وضع القوانين في باكستان على أساس الشريعة الإسلامية سوى في الدية بين الرجل والمرأة، إيثارا للرأي القائل بذلك، واستئناسا بمسلك عثمان بن عفان الذي أكمل دية الذمي وكانت على النصف من دية المسلم...

قال: رأينا أن نسد الطريق على من يتهمون الإسلام بانتقاص مكانة المرأة».

آداب اللباس

وجمهور العلماء على تحريم الحرير والذهب للرجال وإباحتهما للنساء، كما أن الجمهور على أن للنساء ملابس، وللرجال ملابس. والأصل في ملابس النساء أن تكون ساترة لأجسامهن، ولا حرج في أن تكون جميلة غير مثيرة، والأصل في ملابس الرجال أن تلائم أعمالهم، ولا حرج في أن تكون جميلة. كما قال ابن عباس: رأيت على رسول الله أحسن ما يكون من الحلل».

وودت لو كانت للرجال أزياء موحدة، وللنساء كذلك أزياء موحدة، فإن هذا التوحد يقطع دابر التنافس الباهظ التكاليف، المفسد للأخلاق، الذي نراه في ميادين كثيرة...

ضرب النساء

«في أيام الهزائم الإسلامية التي نعانيها، والتي ألصقت بالإسلام ما شاء أعداؤه من نقائص، سمعت خطيبا يروي هذا الحديث: «لا يسأل الرجل: فيم ضرب امرأته؟»[1].

قلت له: إن ديننا متهم بأنه ضد حقوق الإنسان، وضد كرامة المرأة خاصة! فما حملك على إيراد حديث يفيد أن الرجل يضرب امرأته كيف يشاء لا يسأل عما يفعل! وأنت تعلم أن هذا المعنى مرفوض في الكتاب والسنة جميعا؟.

قال: إنني رويت حديثا صحيحا، قلت له: ألا تحفظ حديث مسلم في صحيحه «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»[2]. أفتكون الزوجة المضروبة أهون على الله من نعجة منطوحة ظلما؟.

---

(١) قال ابن ماجه في سننه : حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن يحيى، والحسن بن مدرك الطحان. قالا: حَدَّثَنَا يحيى بن حماد. حَدَّثَنَا أبو عوانة، عن داود بن عبد اللَّه الأودي، عن عبد الرحمن المسلمي، عن الأشعث بن قيس؛ قَالَ: ضفت عمر ليلة. فلما كان في جوف الليل قام إلى امرأته يضربها. فحجزت بينهما. فلما أوى إلى فراشه قَالَ لي: يا أشعث! احفظ عني شيئا سمعته عن رَسُول اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَم (لا يسأل الرجل فيم ضرب امرأته. ولا تنم إلا على وتر) ونسيت الثالثة. حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن خالد بن خداش. حَدَّثَنَا عبد الرحمن بن مهدي. حَدَّثَنَا أبو عوانة إِسْنَاده، نحوه. ضعف الشيخ الألباني الحديث . وورد الحديث في كتاب رياض الصالحين أيضا وقال النووي رواه أبو داود وغيره ولم يعلق محمد علي القطب على هذا الحديث. انظر طبعة المكتبة العصرية بيروت، ٢٠٠١ م، ص ٣٤.

(٢) قال شراح الحديث "قوله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: (لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ..) هذا =

قال: النساء منذ حواء إلى اليوم يستحققن الحذر والتأديب[1]، وقد

= تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين، وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [سورة التكوير: الآية ٥]، وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع وجب حمله على ظاهره. قال العلماء: وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب، وأما القصاص من القرناء للجلحاء، فليس هو من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة. و(الْجَلْحَاءِ) بالمد: هي الجماء التي لا قرن لها، والله أعلم (انظر **صحيح مسلم بشرح النووي**).

(١) نود أن نعلق على قول الشيخ الغزالي بهذه المداخلة :
لم تسلم كتبنا قديماً وحديثاً من لوم حواء والتحذير من فساد النساء أكثر من الرجال وبصورة لا تخلو من غلو المبالغة حتى اشتهرت عبارة عربية معروفة تقول "المرأة شر كلها" بل تكاد تكون الفكرة من مسلمات الثقافة الشرعية والشعبية على حد سواء عند شريحة كبيرة من المسلمين، تحرك سلوكهم وتحدد توجهاتهم. نقرأ في **تفسير القرطبي** "وقيل لحواء: كما أدميت الشجرة فكذلك يصيبك الدم كل شهر وتحملين وتضعين كرها تشرفين به على الموت مرارا. زاد الطبري والنقاش: وتكوني سفيهة وقد كنت حليمة" سورة البقرة الآية ٣٦. وفي **الدر المنثور للسيوطي** "أما أنت يا حواء كما أدميت الشجرة تدمين في كل هلال" (تفسير سورة الأعراف: آية ٢٠-٢٥). وفي دراسة لعمر الأشقر (٢٠٠١ م) في **صحيح القصص النبوي** "على الرجل أن يحذر من زوجته من أن تحرف مساره، فقد أكل آدم من الشجرة بمشورة حواء" (ص٢٨) (الطبعة السادسة: دار النفائس). ونجد في كتاب **قصص رواها الرسول صلى الله عليه وسلم** من تأليف محمد عبدالرحيم (١٩٩٩ م) (الطبعة الأولى: دار الإيمان) قصة بعنوان "إليك عني فمن قبلك أتيت ..دعيني وملائكتي ربي) (ص ٢٤). انظر كتابنا تعليقة أصول التربية (٢٠٠٢ م، ٨٢). والحديث الذي يستندون إليه هو " إن آدم عليه السلام لما حضره الموت قال لبنيه: أي بني إني أشتهي من ثمار الجنة فذهبوا يطلبون له فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوطه ومعهم الفؤوس والمساحي والمكاتل فقالوا لهم: يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون أو ما تريدون وأين =

جاء في الحديث [الصحيح]: «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر»! فقلت له: ما خانت حواء آدم، ولا أغرته بالأكل من الشجرة، هذا من أكاذيب التوراة!.

والقرآن صريح وحاكم في أن آدم هو الذي عصى ربه! ولكنكم دون مستوى القرآن الكريم، وتنقلون من المرويات ما يقف عقبة أمام سيرة الدعوة الإسلامية!.

= تذهبون قالوا: أبونا مريض فاشتهى من ثمار الجنة قالوا لهم: ارجعوا فقد قضي قضاء أبيكم فجاؤوا فلما رأتهم حواء عرفتهم فلاذت بآدم فقال: إليك عني فإني إنما أوتيت من قبلك خلي بيني وبين ملائكة ربي تبارك وتعالى فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه وحفروا له وألحدوا له وصلوا عليه ثم دخلوا قبره فوضعوه في قبره ووضعوا عليه اللبن ثم خرجوا من القبر ثم حثوا عليه التراب ثم قالوا: يا بني آدم هذه سنتكم" إضافة إلى أحاديث أخرى يعتبرونها في حكم المرفوع أو الموقوف على الصحابة وهي صحيحة الإسناد عندهم وتنسجم مع نصوص الإسلام العامة في رأيهم.
قال العسقلاني في شرح البخاري "قوله: (ولولا حواء) أي امرأة آدم وهي بالمد، قيل سميت بذلك لأنها أم كل حي ... وقوله "لم تخن أنثى زوجها " فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك، فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهها بالولادة ونزع العرق فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسنت ذلك لآدم عد ذلك خيانة له، وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها. وقريب من هذا حديث " جحد آدم فجحدت ذريته " وفي الحديث إشارة إلى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم بما وقع من أمهن الكبرى، وأن ذلك من طبعهن فلا يفرط في لوم من وقع منها شيء من غير قصد إليه أو على سبيل الندور، وينبغي، لهن أن لا يتمكن بهذا في الاسترسال في هذا النوع بل يضبطن أنفسهن ويجاهدن هواهن، والله المستعان" (باختصار).

لماذا لا يسأل الرجل: فيم ضرب امرأته؟ أنربي بناتنا ليذهبن إلى فحل يلطمهن أو يؤذيهن دون مساءلة في الدنيا والآخرة؟.

بأي منطق تتكلمون؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [سورة النساء: الآية ٤٠] ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [سورة النساء: الآية ١٢٣].

ذاك في الآخرة، ومن حق المرأة في الدنيا أن تشكو ما نزل بها إلى أهلها، أو الحكم الذي يمثلها أو القاضي الذي يجب أن يسائل زوجها!.

ولها بعدئذ أن تطلب الخلع أو تطلب التطليق للضرر..

إنك أيها المتحدث باسم الإسلام تفتن الناس عنه بهذه الأحاديث».

حديث ضعيف

«عن ثابت عن أنس «إن امرأة كانت تحت رجل فمرض أبوها فأتت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت: يا رسول الله إن أبي مريض، وزوجي يأبى أن يأذن لي أن أمرضه! فقال لها النبي: أطيعي زوجك! فمات أبوها، فاستأذنت زوجها أن تصلي عليه فأبى زوجها أن يأذن لها في الصلاة! فسألت النبي فقال لها: أطيعي زوجك! فأطاعت زوجها ولم تصل على أبيها.. فقال لها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: قد غفر الله لأبيك بطواعيتك لزوجك[1]..!!

(١) رواه الطبراني في الأوسط وفيه عصمة بن المتوكل وهو ضعيف. انظر مجمع الزوائد للهيثمي وتخريج الإحياء للعراقي.

والحديث المذكور لا يعرفه رواة الصحاح، وهو يقطع ما أمر به أن يوصل! ويرخص الوفاء بحق الوالدين، وهدفه ألا تخرج المرأة من البيت أبدا، وهو هدف ينكره الإسلام، وفي الحديث الصحيح: «إن الله أذن لكن أن تخرجن في حوائجكن»..»[١].

دعوة غير موفقة

منذ أيام وقف بين الإسلاميين في الجزائر من يصيح بأعلى صوته:

إن المرأة في الإسلام خلقت لكي تلد الرجال! لا عمل لها إلا هذا..

وهذه الصيحة تنطلق والغزو الثقافي الديني والشيوعي يعد المرأة بالعلم والكرامة واستكمال الشخصية والمشاركة في إصلاح الأرض وغزو الفضاء! قلت للإسلاميين وأنا كاسف البال: قفوا هذا المجون قبل أن ترتد الجزائر وتستولي عليها فرنسا مرة أخرى..

هذا المتحدث المسكين باسم الإسلام لا يعرف إلا حديثا مكذوبا أن المرأة لا ترى رجلا ولا يراها رجل وأنها خلقت ليفترشها فحل وحسب!.

مع عمر رضي الله عنه

كان عمر رضي الله عنه يشغل نفسه ويشغل الناس معه بالقرآن الكريم ويوصي الجيوش أن تلهج به وتعكف عليه. ومن أقضيته التي استند فيها إلى القرآن وحده: ما رواه ابن إسحاق، قال: كنت جالسا مع

(١) ص (٥١).

الأسود بن يزيد في المسجد الأعظم، ومعي الشعبي. فحدث بحديث فاطمة بنت قيس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يجعل لها سكنى ولا نفقة ـ وكانت قد طلقت ثلاثا ـ فأخذ الأسود كفا من حصى فحصبه به! ثم قال: ويلك تحدث بمثل هذا؟ قال عمر: لا نترك كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لا ندري حفظت أم نسيت، لها السكنى والنفقة. قال تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [سورة الطلاق: الآية ١].

وحديث فاطمة المذكور هو موضع خلاف بين الفقهاء، رفضه الأحناف، وقبله الحنابلة، ويرى المالكية والشافعية: أن المطلقة ثلاثا لها السكنى دون النفقة.

وملحظ الحنابلة: أن سياق الآية التي ذكرها عمر في الطلاق الرجعي لا البائن، ولمن شاء أن يدرس القضية في مصادرها، والذي يعنينا منها: هو أن «عمر» جعل ظاهر القرآن هو السنة التي تتبع!.

وإذا كنا نقدم الرأي القوي على الرواية المريبة فيما سقنا قبلا من نماذج فإن عجبنا يشتد عندما نرى من يترك النقل والفقه معا في بعض الأحكام.

اتفق المحدثون أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن. قالوا: يا رسول الله وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت» وفي ورواية: «الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأمر، وإذنها سكوتها»!.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن جارية بكرا أتت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة!، فخيرها رسول الله».

وفي رواية: «أن فتاة دخلت على عائشة فقالت: إن أبي زوجني من ابن أخيه يرفع بي خسيسته وأنا له كارهة! قالت عائشة: اجلسي حتى يأتي رسول الله! فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فأرسل إلى أبيها فدعاه، فجعل الأمر إليها!.

فقالت يا رسول الله، قد أجزت ما صنع أبي، ولكني أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء!».

ومع هذا فإن الشافعية والحنابلة أجازوا أن يجبر الأب ابنته البالغة على الزواج بمن تكره!!، ولا نرى وجه النظر هذه إلا انسياقا مع تقاليد إهانة المرأة، وتحقير شخصيتها...

وقد ذكرنا أن الأحناف أعطوا المرأة حق أن تباشر عقدها إمضاء لظواهر القرآن.. ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [سورة البقرة: الآية ١٤٨].

الحياة والحجاب

- الحجاب والنقاب.
- المرأة والأسرة والوظائف العامة
- علاقة المرأة بالمسجد
- شهادة المرأة في الحدود والقصاص.
- معركة الحجاب...!!

نريد للصحوة الإسلامية المعاصرة أمرين: أولهما: البعد عن الأخطاء التي انحرفت بالأمة وأذهبت ريحها وأطمعت فيها عدوها.. والآخر: إعطاء صورة عملية للإسلام تعجب الرائين، وتمحو الشبهات القديمة وتنصف الوحي الإلهي...

ويؤسفني أن بعض المنسوبين إلى هذه الصحوة فشل في تحقيق الأمرين جميعا، بل ربما نجح في إخافة الناس من الإسلام، ومكن خصومه من بسط ألسنتهم فيه..

ولنستعرض هنا طائفة من المعارك التي أثاروها، أو المبادئ التي رأوا أن ينطلقوا منها. ونبدأ بمعركة النقاب!.

قرأت كتيبا في إحدى دول الخليج يقول فيه مؤلفه: إن الإسلام حرم الزنا! وإن كشف الوجه ذريعة إليه، فهو حرام لما ينشأ عنه من عصيان!.

قلت: إن الإسلام أوجب كشف الوجه في الحج، وألفه في الصلوات كلها، أفكان بهذا الكشف في ركنين من أركانه يثير الغرائز

ويمهد للجريمة؟ ما أضل هذا الاستدلال!.

وقد رأى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الوجوه سافرة في المواسم والمساجد والأسواق فما روي عنه قط أنه أمر بتغطيتها، فهل أنتم أغير على الدين والشرف من الله ورسوله؟.

وللنظر إلى كتاب الله ورسوله لنستجلي أطراف الموضوع.

١ ـ إذا كانت الوجوه مغطاة فمم يغض المؤمنون أبصارهم؟ كما جاء في الآية الشريفة ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ. . .﴾ [سورة النور: الآية ٣٠]. أيغضونها عن القفا والظهر؟..

الغض يكون عند مطالعة الوجوه بداهة، وربما رأى الرجل ما يستحسنه من المرأة فعليه ألا يعاود النظر عندئذ كما جاء في الحديث. قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعلي رضي الله عنه: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة»!.

٢ ـ وقد رأى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من تستثار رغبته عند النظر المفاجئ، وعندئذ فالواجب على المتزوج أن يستغني بما عنده كما روى جابر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ «إذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله ـ أي ليذهب إلى زوجته ـ فإن ذلك يرد ما في نفسه».

فإن لم تكن له زوجة فليع قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [سورة النور: الآية ٣٣].

٣ ـ في أحد الأعياد خطب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ النساء ـ ومصلى العيد يجمع الرجال والنساء بأمر من رسول الله ـ فقال لهن: «تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم» فقال امرأة سفعاء الخدين جالسة في

وسط النساء: لم نحن كما وصفت؟ قال: «لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير» يعني ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن نساء كثيرات يجحدن حق الزوج، وينكرن ما يبذل في البيت ولا تسمع منهن إلا الشكوى!..

قال الراوي: فجعلن يتصدقن من حليهن، يلقين في ثوب بلال من أقراطهن وخواتمهن...! والسؤال: من أين عرف الراوي أن المرأة سفعاء الخدين ـ؟ والخد الأسفع هو الجامع بين الحمرة والسمرة ـ ما ذلك إلا لأنها مكشوفة الوجه.

وفي رواية أخرى: كنت أرى النساء وأيديهن تلقى الحلى في ثوب بلال.. فلا الوجه عورة ولا اليد عورة.

٤ ـ قال بعض الناس: إن الأمر بكشف الوجه في الحج، أو في الصلاة، يعطى أن الوجه يجب ستره فيما رواء ذلك، وأن على المرأة ارتداء النقاب والقفازين!.

ونقول: هل إذا أمر الله الحجاج بتعرية رؤوسهم في الإحرام كان ذلك يفيد أن الرءوس تغطى وجوبا في غير الإحرام؟ من قال ذلك؟ من شاء غطى رأسه ومن شاء كشفه..

٥ ـ عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت: يا رسول الله، جئت لأهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله فصعد النظر إليها وصوبه ثم طأطأ رأسه ـ لم يجبها بشيء ـ فلما رأت أنه لم يقض فيها بشيء جلست...».

وفي رواية أخرى أن أحد الصحابة خطبها، ولم يكن معه مهر فقال له النبي: التمس ولو خاتما من حديد!.

وانتهت القصة بزواجه منها.

والسؤال فيم صعد النظر وصوبه إن كانت منقبة؟

٦ ـ عن ابن عباس كان الفضل رديف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجاءت امرأة من خثعم ـ تسأله ـ فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه وجعل رسول الله يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر... فقالت يا رسول الله إن فريضة الله على عباده الحج، وقد أدركت بي شيخا كبيرا لا يثبت على الراحة، أفأحج عنه؟ قال: نعم... وكان ذلك في حجة الوداع ـ أي لم يأت بعده حديث ناسخ ـ.

٧ ـ وحدثت عائشة قالت: كان نساء مؤمنات يشهدن مع النبي صلاة الفجر، متلحفات بمروطهن ـ مستورات الأجساد بما يشبه الملاءة ـ ثم ينقلبن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة، لا يعرفن من الغلس ـ تعني أنه لولا غبش الفجر لعرفن لانكشاف وجوههن ـ.

٨ ـ على أن قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [سورة النور: الآية ٣١] يحتاج إلى تأمل، إذ لو كان المراد إسدال الخمار على الوجه لقال: ليضربن بخمرهن على وجوههن، مادامت تغطية الوجه هي شعار المجتمع الإسلامي، وما دامت للنقاب هذه المنزلة الهائلة التي تنسب إليه... وعند التطبيق العملي لهذا الفهم اضطرت النساء لاصطناع البراقع أو حجب أخرى على النصف الأدنى للوجه كي يستطعن السير، فإن إسدال الخمار من فوق يعشي العيون، ويعسر الرؤية.. ومن ثم فنحن نرى الآية لا نص فيها على تغطية الوجوه!.

ولاشك أن بعض النساء في الجاهلية، وعلى عهد الإسلام كن يغطين أحيانا وجوههن مع بقاء العيون دون غطاء، وهذا العمل كان من العادات لا من العبادات، فلا عبادة إلا بنص.

٩ ـ ويدل على ما ذكرنا: أن امرأة جاءت إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقال لها «أم خلاد» وهي متنقبة تسأل عن ابنها الذي قتل في إحدى الغزوات فقال لها بعض أصحاب النبي: جئت تسألين عن ابنك وأنت متنقبة؟ فقالت المرأة الصالحة: إن أرزأ ابني فلم أرزأ حيائي..!!.

واستغراب الأصحاب لتنقب المرأة دليل على أن النقاب لم يكن عبادة!.

١٠ ـ قد يقال: إن ما روي عن عائشة يؤكد أن النقاب تقليد إسلامي، فقد قالت: «كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات، فإذا جازوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه» ونجيب بأن هذا الحديث ضعيف من ناحية السند، شاذ من ناحية المتن، فلا احتجاج به..

والغريب أن هذا الحديث المردود يروج له دعاة النقاب مع أنهم يردون حديثا خيرا منه حالا وهو حديث عائشة أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها وقال: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفيه».

ونحن نعرف أن الحديث مرسل، ولكن الحديث قوته روايات أخرى، وهو أقوى من الحديث الذي سبقه.

١١ ـ وأدل على ذلك السفور المباح: ما رواه لنا مسلم أن سبيعة بنت الحارث ترملت من زوجها وكانت حاملا، فما لبثت أياما حتى وضعت، فأصلحت نفسها، وتجملت للخطاب! فدخل عليها أبو السنابل أحد الصحابة ـ وقال لها: ما لي أراك متجملة؟ لعلك تريدين الزواج،

إنك والله ما تتزوجين إلا بعد أربعة أشهر وعشرة أيام..

قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم، وسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي! وأمرني بالتزوج إن بدا لي..

كانت المرأة مكحولة العين مخضوبة الكف، وأبو السنابل ليس من محارمها الذين يطلعون بحكم القرابة على زينتها، والملابسات كلها تشير إلى بيئة يشيع فيها السفور!.

وقد وقع ذلك بعد حجة الوداع، فلا مكان لنسخ حكم أو إلغاء تشريع.. وأعرف أن هناك من ينكر كل ما قلناه هنا، فبعض المتحدثين في الإسلام أشد تطيرا من ابن الرومي! وهم ينظرون إلى فضائل الدنيا والآخرة من خلال مضاعفة الحجب والعوائق على الغريزة الجنسية..

ويعلم الله إني ـ مع اعتدادي برأيي ـ أكره الخلاف والشذوذ. وأحب السير مع الجماعة، وأنزل عن وجهة نظري التي أقتنع بها بغية الإبقاء على وحدة الأمة..

فهل ما قلته رأي انفردت به؟.

كلا كلا إنه رأي الفقهاء الأربعة الكبار، ورأي أئمة التفسير البارزين..

إن الشاغبين على سفور الوجه يظاهرون رأيا مرجوحا، ويتصرفون في قضايا المرأة كلها على نحو يهز الكيان الروحي والثقافي والاجتماعي لأمة أكلها الجهل والاعوجاج لما حكمت على المرأة بالموت الأدبي والعلمي.

إن من علماء المذاهب الأربعة من يرى أن وجه المرأة ليس بعورة،

وأثبت هنا نقولا عن كبار المفسرين من أتباع هذه المذاهب: قال أبو بكر الجصاص ـ وهو حنفي ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [سورة النور: الآية ٣١].

المراد: الوجه والكفان، لأن الكحل زينة الوجه، والخضاب والخاتم زين الكف. فإذا أبيح النظر إلى زينة الوجه والكف فقد اقتضى ذلك لا محالة إباحة النظر إلى الوجه والكفين.

ويقول القرطبي «لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة، وذلك في الصلاة والحج، فيصلح أن يكون الاستثناء راجعا إليهما. . . ».

ويقول ابن كثير «ويحتمل أن ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير ما ظهر منها بالوجه والكفين، وهذا هو المشهور عند الجمهور. . . ».

وقال ابن قدامة في «المغني»: المرأة كلها عورة إلا الوجه، وفي الكفين روايتان!!.

ونختم برأي ابن جرير الطبري في تفسيره الكبير «أولى الأقوال في ذلك بالصواب من قال ـ في الاستثناء المذكور عن زينة المرأة المباحة ـ عني بذلك الوجه والكفين، ويدخل الكحل والخاتم والسوار والخضاب.. وإنما قلنا ذلك أقوى الأقوال، لأن الإجماع على أن كل مصل يستر عورته في الصلاة وأن للمرأة أن تكشف وجها وكفيها في الصلاة، وأن تستر ما عدا ذلك من بدنها، وما لم يكن عورة فغير حرام إظهاره. . . ».

والمذهب الحنفي يضم ظهور القدمين إلى الوجه والكفين، منعا للحرج. . .

وبعد هذا السرد نسارع إلى التنبيه بأن المجتمع الإسلامي بما شرع الله له من آداب اللباس والسلوك العام هو شيء آخر غير المجتمع الأوروبي ـ بشقيه الصليبي والشيوعي ـ فإن هذا المجتمع أدنى إلى الفكر المادي البحت وأقرب إلى الإباحة الحيوانية المسعورة..

إن الملابس هناك تفصل للإثارة لا للستر، والتزين للشارع لا للبيت، والاختلاط لا يعرف التصون أو تقوى الله، والخلوة ميسورة لمن شاء، والقانون لا يرى الزنا جريمة ما دام بالتراضي!! وتكاد الأسر تكون حبرا على ورق..

إن الإسلام شيء آخر مغاير كل المغايرة لهذا الاتجاه الطائش الكفور، فهل أحسنا نحن بناء المجتمع القائم على حدود الله؟.

إننا قدمنا للإسلام صورا تثير الاشمئزاز وفي خطاب لأحد الدعاة المشاهير قال: إن المرأة تخرج من بيتها للزوج أو للقبر! ثم ذكر حديثا: إن امرأة مرض أبوها مرض الموت فاستأذنت زوجها لتعوده فأبى عليها! فلما مات استأذنته أن تشهد الوفاة وتكون مع الأهل عند خروج الجنازة فأبى... قال الخطيب: فلما ذكرت ذلك لرسول الله قال لها: إن الله غفر لأبيك لأنك أطعت زوجك!!.

أكذلك يعرض ديننا؟ سجنا للمرأة تقطع فيه ما أمر الله به أن يوصل؟..

وجاءتني رسالة من طالبة منعها أبوها من الالتحاق بالجامعة، قالت: إن أبانا يقول لي ولأخواتي البنات: «إن الله دفنكم أحياء، فلا أتركنكن لما تردن من خروج»!.

هذا فهم الأب الأحمق لآية ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ...﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٣٣].

المرأة والأسرة والوظائف العامة

أكره البيوت الخالية من رباتها! إن ربة البيت روح ينفث الهناءة والمودة في جنباته ويعين على تكوين إنسان سوي طيب.. وكل ما يشغل المرأة عن هذه الوظيفة يحتاج إلى دراسة ومراجعة...

وإلى جانب هذه الحقيقة فإني أكره وأد البنت طفلة، ووأدها وهي ناضجة المواهب مرجوة الخير لأمتها وأهلها.. فكيف نوفق بين الأمرين؟.

لنتفق أولا على أن احتقار الأنوثة جريمة، وكذلك دفعها إلى الطرق لإجابة الحيوان الرابض في دماء بعض الناس...

والدين الصحيح يأبى تقاليد أمم تحبس النساء، وتضيق عليهن الخناق وتضن عليهن بشتى الحقوق والواجبات، كما يأبى تقاليد أمم أخرى جعلت الأعراض كلأ مباحا، وأهملت شرائع الله كلها عندما تركت الغرائز الدنيا تتنفس كيف تشاء...

يمكن أن تعمل المرأة داخل البيت وخارجه، بيد أن الضمانات مطلوبة لحفظ مستقبل الأسرة ومطلوب أيضا توفير جو من التقى والعفاف تؤدي فيه المرأة ما قد تكلف به من عمل..

إذا كان هناك مائة ألف طبيب أو مائة ألف مدرس فلا بأس أن يكون نصف هذا العدد من النساء والمهم في المجتمع المسلم قيام الآداب التي أوصت بها الشريعة، وصانت بها حدود الله، فلا تبرج ولا خلاعة، ولا مكان لاختلاط ماجن هابط، ولا مكان لخلوة بأجنبي ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٢٩].

على أن الأساس الذي ينبغي أن نرتبط به أو نظل قريبين منه هو البيت، إنني أشعر بقلق من ترك الأولاد للخدم أو حتى لدور الحضانة.

إن أنفاس الأم عميقة الآثار في إنضاج الفضائل وحماية النشء.

ويجب أن نبحث عن ألف وسيلة لتقريب المرأة من وظيفتها الأولى وهذا ميسور لو فهمنا الدين على وجهه الصحيح، وتركنا الانحراف والغلو..

أعرف أمهات فاضلات مديرات لمدارس ناجحة، وأعرف طبيبات ماهرات شرفن أسرهن ووظائفهن وكان التدين الصحيح من وراء هذا كله..

وقد لاحظت أن المرأة اليهودية شاركت في الهزيمة المخزية التي نزلت بنا وأقامت دولة إسرائيل على أشلائنا، إنها أدت خدمات اجتماعية وعسكرية لدينها.

كما أن امرأة يهودية هي التي قادت قومها، وأذلت نفرا من الساسة العرب لهم لحى وشوارب في حرب الأيام الستة وفي حروب تالية..!

وقد لاحظت في الشمال الأفريقي وأقطار أخرى أن الراهبات وسيدات متزوجات وغير متزوجات يخدمن التنصير بحماس واستبسال!.

ولعلنا لا ننسى الطبيبة التي بقيت في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وهي تهدم على رءوس أصحابها وتحملت أكل الموتى من الحيوانات والجثث، ثم خرجت ببعض الأطفال العرب آخر الحصار لتستكمل معالجة عللهم في انجلترا..

إن هناك نشاطا نسائيا عالميا في ساحات شريفة رحبة لا يجوز أن ننساه لما يقع في ساحات أخرى من تبذل وإسفاف.

وقد ذكرني الجهاد الديني والاجتماعي الذي تقوم النساء غير المسلمات به في أرضنا أو وراء حدودنا، بالجهاد الكبير الذي قامت به نساء السلف الأول في نصرة الإسلام.

لقد تحملن غربة الدين بشجاعة، وهاجرن وآوين عندما فرضت الهجرة والإيواء، وأقمن الصلوات رائجات غاديات إلى المسجد النبوي سنين عددا، وعندما احتاج الأمر إلى القتال قاتلن.

وقبل ذلك أسدين خدمات طبية ـ أعن في المهام التي يحتاج إليها الجيش ـ.

وقد ساء وضع المرأة في القرون الأخيرة، وفرضت عليها الأمية والتخلف الإنساني العام...

بل إنني أشعر بأن أحكاما قرآنية ثابتة أهملت كل الإهمال لأنها تتصل بمصلحة المرأة، منها أنه قلما نالت امرأة ميراثها، وقلما استشيرت في زواجها!.

وبين كل مائة ألف طلاق يمكن أن يقع تمتيع مطلقة.. أما قوله تعالى ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٤١] فهو كلام للتلاوة..

والتطويح بالزوجة لنزوة طارئة أمر عادي، أما قوله تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا...﴾ [سورة النساء: الآية ٣٥] فحبر على ورق..

المرأة أنزل رتبة وأقل قيمة من أن ينعقد لأجلها مجلس صلح! إن الرغبة في طردها لا يجوز أن تقاوم..!!

وقد نددت في مكان آخر بأن خطيئة الرجل تغتفر أما خطأ المرأة فدمها ثمن له!!.

وقد استغل الاستعمار العالمي في غارته الأخيرة علينا هذا الاعوجاج المنكور، وشن على تعاليم الإسلام حربا ضارية! كأن الإسلام المظلوم هو المسئول عن الفوضى الضاربة بين أتباعه..

والذي يثير الدهشة أن مدافعين عن الإسلام أو متحدثين باسمه وقفوا محامين عن هذه الفوضى الموروثة، لأنهم ـ بغباوة رائعة ـ ظنوا أن الإسلام هو هذه الفوضى! والجنون فنون والجهالة فنون!!.

إن الأعمدة التي تقوم عليها العلاقات بين الرجال والنساء تبرز في قوله تعالى: ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٥] وقوله: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة النحل: الآية ٩٧].

وقول الرسول الكريم: «النساء شقائق الرجال»(١).

وهناك أمور لم يجئ في الدين أمر بها أو نهي عنها، فصارت من قبيل العفو الذي سكت الشارع عنه ليتيح لنا حرية التصرف فيه سلبا وإيجابا.

وليس لأحد أن يجعل رأيه هنا دينا، فهو رأي وحسب!.

ولعل ذلك سر قول ابن حزم. إن الإسلام لم يحظر على امرأة تولي منصب ما، حاشا الخلافة العظمى!.

وسمعت من رد كلام ابن حزم: بأنه مخالف لقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ

---

(١) رواه أحمد في مسنده وأبو داود والترمذي عن عائشة، البزار عن أنس تصحيح السيوطي: صحيح.

أَمْوَٰلِهِمْۚ. . .﴾ [سورة النساء: الآية ٣٤] فالآية تفيد ـ في فهمه ـ أنه لا يجوز أن تكون المرأة رئيسة رجل في أي عمل!.

وهذا رد مرفوض والذي يقرأ بقية الآية الكريمة يدرك أن القوامة المذكورة هي للرجل في بيته، وداخل أسرته..

وعندما ولى عمر قضاء الحسبة في سوق المدينة للشفاء، كانت حقوقها مطلقة على أهل السوق رجالا ونساء، تحل الحلال وتحرم الحرام وتقيم العدالة وتمنع المخالفات...

وإذا كانت للرجل زوجة طبيبة في مستشفى فلا دخل له في عملها الفني، ولا سلطان له على وظيفتها في مستشفاها..

قد يقال: كلام ابن حزم منقوض بالحديث «خاب قوم ولوا أمرهم امرأة»..

وجعل أمور المسلمين إلى النساء يعرض الأمة للخيبة فينبغي ألا تسند إليهن وظيفة كبيرة ولا صغيرة...

وابن حزم يرى الحديث مقصورا على رياسة الدولة، أما ما دون ذلك فلا علاقة للحديث به...

ونحب أن نلقي نظرة أعمق على الحديث الوارد، ولسنا من عشاق جعل النساء رئيسات للدول أو رئيسات للحكومات! إننا نعشق شيئا واحدا، أن يرأس الدولة أو الحكومة أكفأ إنسان في الأمة...

وقد تأملت في الحديث المروي في الموضوع، مع أنه صحيح سندا ومتنا، ولكن ما معناه؟.

عندما كان فارس تتهاوى تحت مطارق الفتح الإسلامي كانت تحكمها ملكة مستبدة مشئومة.

الدين وثني! والأسرة المالكة لا تعرف شورى، ولا تحترم رأيا مخالفا، والعلاقات بين أفرادها بالغة السوء. قد يقتل الرجل أباه أو إخوته في سبيل مآربه. والشعب خانع منقاد..

وكان في الامكان، وقد انهزمت الجيوش الفارسية أمام الرومان الذين أحرزوا نصرا مبينا بعد هزيمة كبرى وأخذت مساحة الدولة تتقلص أن يتولى الأمر قائد عسكري يقف سيل الهزائم لكن الوثنية السياسية جعلت الأمة والدولة ميراثا لفتاة لا تدري شيئا، فكان ذلك إيذانا بأن الدولة كلها إلى ذهاب..

في التعليق على هذا كله قال النبي الحكيم كلمته الصادقة، فكانت وصفا للأوضاع كلها..

ولو أن الأمر في فارس شورى، وكانت المرأة الحاكمة تشبه «جولدا مائير» اليهودية التي حكمت اسرائيل واستبقت دفة الشؤون العسكرية في أيدي قادتها لكان هناك تعليق آخر على الأوضاع القائمة..

ولك أن تسأل: ماذا تعني؟ وأجيب: بأن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ قرأ على الناس في مكة سورة النمل، وقص عليهم في هذه السورة قصة ملكة سبأ التي قادت قومها إلى الإيمان والفلاح بحكمتها وذكائها، ويستحيل أن يرسل حكما في حديث يناقض ما نزل عليه من وحي!.

كانت بلقيس ذات ملك عريض، وصفه الهدهد بقوله: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾ [سورة النمل: الآية ٢٣].

وقد دعاها سليمان إلى الإسلام، ونهاها عن الاستكبار والعناد، فلما تلقت كتابه، تروت في الرد عليه، واستشارت رجال الدولة الذين

سارعوا إلى مساندتها في أي قرار تتخذه، قائلين ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [سورة النمل: الآية ٣٣].

ولم تغتر المرأة الواعية بقوتها ولا بطاعة قومها لها، بل قالت: نختبر سليمان هذا لنتعرف أهو جبار من طلاب السطوة والثروة أم هو نبي صاحب إيمان ودعوة؟.

ولما التقت بسليمان بقيت على ذكائها واستنارة حكمها تدرس أحواله وما يريد وما يفعل، فاستبان لها أنه نبي صالح.

وتذكرت الكتاب الذي أرسله إليها: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة النمل] ثم قررت طرح وثنيتها الأولى والدخول في دين الله قائلة: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة النمل: الآية ٤٤].

هل خاب قوم ولوا أمرهم امرأة من هذا الصنف النفيس؟ إن هذه المرأة أشرف من الرجل الذي دعته ثمود لقتل الناقة ومراغمة نبيهم صالح ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة القمر: الآيات ٢٩ ـ ٣٢].

ومرة أخرى أؤكد أني لست من هواة تولية النساء المناصب الضخمة، فإن الكملة من النساء قلائل، وتكاد المصادفات هي التي تكشفهن. وكل ما أبغي، هو تفسير حديث، ورد في الكتب، ومنع التناقض بين الكتاب وبعض الآثار الواردة، أو التي تفهم على غير وجهها! ثم منع التناقض بين الحديث والواقع التاريخي.

إن انجلترا بلغت عصرها الذهبي أيام الملكة «فيكتوريا» وهي الآن

بقيادة ملكة ورئيسة وزراء، وتعد في قمة الازدهار الاقتصادي والاستقرار السياسي. فأين الخيبة المتوقعة لمن اختار هؤلاء النسوة؟.

وقد تحدثت في مكان آخر عن الضربات القاصمة التي أصابت المسلمين في القارة الهندية على يدي «انديرا غاندي» وكيف شطرت الكيان الإسلامي شطرين فحققت لقومها ما يصبون!.

على حين عاد المرشال، يحيى خان يجرر أذيال الخيبة!!.

أما مصائب العرب التي لحقت بهم يوم قادت «جولدا مائير» قومها فحدث ولا حرج، قد نحتاج إلى جيل آخر لمحوها! إن القصة ليست قصة أنوثة وذكورة! إنها قصة أخلاق ومواهب نفسية..

لقد أجرت انديرا انتخابات لترى أيختارها قومها للحكم أم لا؟ وسقطت في الانتخابات التي أجرتها بنفسها! ثم عاد قومها فاختاروها من تلقاء أنفسهم دون شائبة إكراه!.

أما المسلمون فكأنهم متخصصون في تزوير الانتخابات للفوز بالحكم ومغانمه برغم أنوف الجماهير.

أي الفريقين أولى برعاية الله وتأييده والاستخلاف في أرضه؟ ولماذا لا نذكر قول ابن تيمية: إن الله قد ينصر الدولة الكافرة ـ بعدلها ـ على الدولة المسلمة بما يقع فيها من مظالم؟.

ما دخل الذكورة والأنوثة هنا؟ امرأة ذات دين خير من ذي لحية كفور!!

والمسلمون الآن نحو خمس العالم، فكيف يعرضون دينهم على سائر الناس!

ليتهموا قبل أي شيء بأركان دينهم وعزائمه وغاياته العظمى! أما ما سكت الإسلام عنه فليس لهم أن يلزموا الناس فيه بشيء قد ألفوه هم أنفسهم من قبل!!.

إننا لسنا مكلفين بنقل تقاليد عبس وذبيان إلى أمريكا وأستراليا، إننا مكلفون بنقل الإسلام وحسب!.

والأمم تلتقي عند الشئون المهمة! هب أن الإنكليز يلزمون الجانب الأيسر من الطريق على عكس غيرهم من أهل أوروبا، إن ذلك لا تأثير له في حلف الأطلسي ولا في دستور الأسرة الأوروبية!.

وإذا كان الفقهاء المسلمون قد اختلفت وجهات نظرهم في تقرير حكم ما، فإنه يجب علينا أن نختار للناس أقرب الأحكام إلى تقاليدهم..

والمرأة في أوربا تباشر زواجها بنفسها، ولها شخصيتها التي لا تتنازل عنها، وليست مهمتنا أن نفرض على الأوربيين مع أركان الإسلام رأي مالك أو ابن حنبل إذا كان رأي أبي حنيفة أقرب إلى مشاربهم فإن هذا تنقطع أو صد عن سبيل الله..

وإذا ارتضوا أن تكون المرأة حاكمة أو قاضية أو وزيرة أو سفيرة، فلهم ماشاءوا، ولدينا وجهات نظر فقهية تجيز ذلك كله، فلم الإكراه على رأي ما؟.

إن من لا فقه لهم يجب أن يغلقوا أفواههم لئلا يسيئوا إلى الإسلام بحديث لم يفهموه أو فهموه وكان ظاهر القرآن ضده...

والجماعة من شعائر الإسلام، ومنذ قام المجتمع الإسلامي

والمسجد محور نشاطه وملتقى أبنائه، تتصافح فيه الوجوه والأيدي، وتتلاقى فيه على الحب والتعاون.

ويقف المؤمنون في صفوف مرصوصة بين يدي الله تبارك وتعالى قدما لقدم وكتفا لكتف، يزينهم الخشوع لسماع القرآن، والتسبيح والتحميد خلال الركوع والسجود. . .

وأثر الصلاة الفكري والخلقي عميق، فإن القرآن المتلو يرفع المستوى ويورث التقوى، واللقاء المتكرر يصون العلاقات الخاصة والعامة، ويجعل الأمة تواجه يومها وغدها وهي متعارفة لا متناكرة.

وثم أمر آخر. . أن المبطلين أقاموا في هذه الدنيا جوا من المادية والأطماع والمدرب الصغيرة يملأ أنديتهم، ويسود طرقهم، ويصنع تقاليدهم، ويدعم بعدهم عن الله وكفرهم بآياته، فيجب أن يكون للمؤمنين جو أنقى يعلو فيه ذكر الله، وتسمع فيه قضايا الحق، ويتحول فيه الإيمان بالغيب إلى حقائق مأنوسة لا خيالات مستوحشة!.

من ثم كانت الجماعة من معالم الدين! وبعض الفقهاء يرى الجماعة فرضا للصلوات الخمس لا يسقطه إلا عذر صحيح، ولكن الذي عليه جمهور الأمة أن الجماعة سنة مؤكدة. . .

فهل هي سنة مؤكدة للرجال والنساء على السواء؟ كذلك يقول الظاهرية!! ولكن الأمر يحتاج إلى تأمل. .

فقد صح في السنة أن المرأة راعية في بيتها وهي مسئولة عن رعيتها! ولا ريب أن شئون الأولاد خصوصا الرضع، وإعداد البيت لاستقبال الرجل العائد من عمله، كل ذلك يحول دون انتظام المرأة في الجماعات الخمس.

ولذلك نرى أن حضور الجماعات مطلوب منها بعد أن تفرغ من وظائف بيتها، فإذا قامت بما عليها فلا يجوز لرجلها أن يمنعها من الذهاب إلى المسجد وقد جاء في الحديث «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»(١).

ونحن موقنون بأن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ جعل أحد أبواب المسجد خاصا بالنساء، وأنه أقامهن في الصفوف المؤخرة من المسجد ـ وذلك أصون لهن في الركوع والسجود ـ وأنه زجر الرجال الذين يقتربون من صفوفهن، كما زجر النساء اللائي يتقدمن قريبا من صفوف الرجال..

وقد بقيت صفوف النساء في المسجد طيلة العهد النبوي وأيام الخلافة الراشدة، لم يشغب عليها شاغب، تبدأ مع الفجر وتنتهي عند العشاء..

وربما قامت للنساء جماعات حاشدة لصلاة التراويح في رمضان، ومعروف أن اشتراكهن في صلاة العيد وسماع الخطبة من شعائر الإسلام.

بيد أن الازدهار الذي أحدثه الإسلام في عالم المرأة أخذ يتعرض للذبول والتلاشي فوضع حديث يمنع تعليم النساء الكتابة، كي يبقين على أميتهم الأولى!!.

لحساب من تعود هذه الجاهلية؟.

وعندما يفرض على نصف الأمة الجهل والعمى فكيف تنشأ الأجيال المقبلة؟.

---

(١) أحمد في مسنده وصحيح مسلم عن ابن عمر تصحيح السيوطي في الجامع الصغير: صحيح (انظر موقع المحدث).

ثم شاع حديث آخر يأبى على النساء حضور الجماعات كلها، بل طلب من المرأة إذا أرادت الصلاة في بيتها أن تختار المكان الموحش المعزول، فصلاتها في سرداب أفضل من صلاتها في الغرفة، وصلاتها في الظلمة أفضل من صلاتها في الضوء!!.

وراوي هذا الحديث يطوح وراءه ظهره بالسنن العملية المتواترة عن صاحب الرسالة.

وينظر إلى المرأة المصلية وكأنها أذى يجب حصره في أضيق نطاق وأبعده، ولنقرأ هذا الحديث الغريب كما ذكره ابن خزيمة وغيره.

«عن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي أنها جاءت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم ـ فقالت:

يا رسول الله إني أحب الصلاة معك، قال: قد علمت أنك تحبين الصلاة معي! وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي».

قال الراوي: فأمرت فبنى لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه، وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل!!.

والبيت في الحديث هو غرفة النوم، والحجرة غرفة الجلوس، والصلاة في الأولى أفضل من الصلاة في الأخرى!.

والصالة في غرفة الجلوس أفضل من الصلاة في عرصة الدار، وهي في عرصة الدار أفضل من الصلاة في مسجد الحي..

وكلما ضاق المكان وبعد واستوحش كانت الصلاة فيه أفضل!.

ويجعل ابن خزيمة عنوان الباب الذي ذكر فيه هذه القضايا «صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في مسجد رسول الله. وأن أقول قول النبي - عليه الصلاة والسلام «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد» إنما أراد به صلاة الرجال دون صلاة النساء!!.

والسؤال السريع إن كان هذا الكلام صحيحا فلماذا تركهن النبي يشهدن الجماعات معه طوال عشر سنين من الفجر إلى العشاء؟ ولماذا خص أحد أبواب المسجد بدخولهن؟ ولماذا لم ينصحهن بالبقاء في البيوت بدل هذه المعاناة الباطلة؟.

ولماذا قصر صلاة الفجر على سورتين صغيرتين عندما سمع بكاء رضيع مع أمه حتى لا ينشغل قلبها؟.

ولماذا قال: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله؟ ولماذا استبقت الخلافة الراشدة صفوف النساء في المساجد بعد وفاة الرسول الكريم؟.

إن ابن حزم أراح نفسه وأراح غيره عندما كذب أحاديث منع النساء من الصلاة في المساجد، وعدها من الباطل!

وقد أتت على المسلمين عصور ماتت فيها السنة الصحيحة، ولا تزال هذه المأساة باقية تتعصب لها بيئات لا تعرف إلا المرويات المتروكة والمنكرة..

وقد يقبل زجر المرأة عن حضور الجماعات إذا كانت متبرجة، فإن الذهاب إلى المساجد ليس استعراضا للزينات، وبعثرة للفتن! إنه سعي لمرضاة الله، وغرس للتقوى..

وحجز النساء عن هذا الشر هو بتنفيذ وصية رسول الله «...

يخرجن تفلات» أي في ملابس عادية وهيئة طبيعية لا تعطر ولا تبختر..

أما إصدار حكم عام بتحريم المساجد على النساء فهو مسلك لا صلة له بالإسلام».

قصة الناقة

وأذكر هنا قصة الناقة التي عرضها صاحبها بعشرة دراهم، واشترط أن تباع قلادتها معها بألف درهم! فكان الناس يقولون: ما أرخص الناقة لولا هذه القلادة الملعونة..!

وأقول كذلك: ما أيسر الإسلام وأيسر أركانه، وما أصدق عقائده وشرائعه. لولا ما أضافه أتباعه من عند أنفسهم، واشترطوا على الناس أن يأخذوا به ويدخلوا فيه..!

ولي أن أتساءل هل من مصلحة الأمن العام إهدار شهادة المرأة في قضايا يقع ألوف منها بمحضر النساء؟ وهل من مصلحة الفقه والأثر ترجيح مذهب يسيء إلى الإسلام أكثر مما يحسن..؟

ثم نختم هذا الباب بقول ابن حزم: «وجائز أن تلي المرأة الحكم» وهو قول أبي حنيفة، وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه ولي الشفاء ـ امرأة من قومه ـ السوق، فإن قيل: قد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة» قلنا: إنما قال ذلك رسول الله في الأمر العام الذي هو الخلافة.

برهان ذلك: قوله عليه الصلاة والسلام: «المرأة راعية على مال زوجها وهي مسئولة عن رعيتها»[1].

---

(١) ورد في صحيح البخاري: باب: المرأة راعية في بيت زوجها. عن نافع، =

وقد أجاز المالكيون أن تكون وصية ووكيلة «ولم يأت نص من منعها أن تلي بعض الأمور!» (باختصار).

= عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته).

قال الشيخ محمد الغزالي في نهاية كتابه جدد حياتك "والحق أن ترويض النفس على الكمال والخير، وفطامها عن الضلال والشر يحتاج إلى طول رقابة وطول حساب... لا بد من حساب دقيق يعتمد على الكتابة، والمقارنة، والإحصاء واليقظة. فإذا شئت الإفادة من ماضيك، بل من حياتك كلها فاضبط أحوالك وأنت تتعهد نفسك. اضبطها في سجل أمين يحصي الحسنات والسيئات، ويغالب طبيعة النسيان في ذهن الإنسان" (ص ٢٠٤).

يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة "إن العامة يكرهون البحث العلمي، والدقة الفقهية، وتعجبهم الأقاصيص الضافية الذيول. ولكننا نريد رفع مستوى العامة، لا السقوط معهم"

(ص ٣٢٤)

ملحق
بأهم الأفكار الواردة في الكتاب

بقلم: أ. علاء الدين آل رشي(*)

(*) المدير الإعلامي لمركز الراية للتنمية الفكرية، إجازة في الشريعة الإسلامية من معهد المحدث بدر الدين الحسني بدمشق، أسهم في نقد الخطاب التقليدي في العديد من الصحف والمجلات العربية والدولية، صدرت له دراسات منها: (هكذا علمني الغزالي) و(في ظلال السيرة النبوية) و(العقيدة الطحاوية في ثوبها الجديد)، يؤمن بمشروعية الأمة في الاختيار الديمقراطي والتعدد الديني على أساس المساواة والتسامح.

* يرى عدد كبير من الباحثين أن الغزالي قدم نظرات رائدة في مجال تجديد الفكر الإسلامي المعاصر فأفكاره تدل على سماحة الإسلام فيما يتصل بقضايا المرأة بينما يعتقد فريق من الباحثين أن بعض تلك الاجتهادات في غاية الخطورة ولا تخدم المجتمع المسلم المحافظ والأسلم إغفالها. رغم هذا التباين في وجهات النظر إزاء مواضيع محدودة إلا أن الكل يتفق على الدور الكبير الذي قام به الغزالي في العمل الإصلاحي على مستوى العالم الإسلامي ولا يستطيع أحد أن ينكر دراساته الأصيلة، ومواعظه البليغة، ومواقفه المشرفة، وجهوده المتميزة في خدمة التربية الإسلامية كنموذج وتطبيق.

* شهد العلماء المعاصرون بسعة علم الغزالي فالمتخصصون يؤكدون على إمامته في الدعوة والأدب والتفسير والحديث والفقه.

* فتح الغزالي ملفا غنيا بالأفكار الأساسية، التي تشكل إجاباتها معالم الفكر الإسلامي الحر القادر على مواكبة الخطاب العالمي.

* قام الغزالي منذ شبابه بمحاربة الظلم الاجتماعي، وجاهد في تحرير المرأة باسم الإسلام.

* من الواضح أن الدراسات السابقة التي انتقدت الغزالي لم تجد أي فكرة وجيهة تستحق النظر في فكر الغزالي وعلى الأخص فيما يتصل بقضايا المرأة وسبل الإصلاح الاجتماعي بل على العكس فإن ذلك الفكر قد يزرع الفتن قطعاً ويجلب المفاسد يقيناً. المقالات العابرة والدراسات العميقة التي كتبها المخالفون لطرح الغزالي ترفض تماماً وصف «الفقه البدوي» وهو وصف

استخدمه الغزالي (السنة النبوية، ص ١٥) وفهمه غيره من المخالفين له على أنه إساءة لهم ويجب أن تتنزه المناقشات الموضوعية عن هذه السقطات والتشنجات.

■ وتوصلت الباحثة سهيلة الحسيني إلى مجموعة نتائج متفرقة في ثنايا كتابها ومن تلك النتائج أن الغزالي يرى:

١ ـ إقامة دروس في المساجد خاصة بالسيدات في أوقات الصباح لتعود للمسجد قيادته الأولى في قيادة المجتمع..

٢ ـ تقف المرأة على قدم المساواة مع الرجل في الغَرف من معين التربية والعلم أيضاً..

٣ ـ رفض تقاليد الشرق المجحفة والغرب المسرفة لأنها لا تصون شخصية المرأة..

٤ ـ عدم إقحام المرأة في أعمال تذيب الأنوثة..

٥ ـ لا يمنع الإسلام الاختلاط إذا كان محكوماً بأسيجة العفة والفضيلة..

* قامت هبه رؤوف عزت بدراسة «الحق المر: الشيخ الغزالي وقضايا المرأة» فوجدت أن الغزالي كان في الستينيات يؤكد على أولوية عمل المرأة داخل بيتها ولكنه في الثمانينيات وبعد طول خبرة «يسعى إلى إيجاد توازن بين مسئولية المرأة داخل أسرتها ومسئوليتها تجاه قضايا الأمة» (ص ٩٥). يرى الغزالي كما تقول الباحثة: «أن مستقبل الإسلام رهن بإعادة النظر في قضايا عديدة، منها قضية المرأة، وأن التضييق كان مدخلاً لأعداء الدين لكي ينفذوا إلى المجتمع الإسلامي».

* يدعو المتخصصون في الفكر الإسلامي المعاصر وفي قضايا

المرأة إلى تتبع منهج الغزالي في إيقاظ العقل . تنظر الموسوعات الأكاديمية العالمية إلى الغزالي كمصلح اجتماعي يطالب بفتح ميادين العمل لإسهامات المرأة ويقدم الأدلة الدينية والعقلية ليبرهن سلامة توجهه (Ayubi, 1995, vol. 2. p. 64) ولكن هذه المصادر لا تبين بالتفصيل معالم الحركة الإصلاحية في فكر الغزالي وتكتفي بالإشارة إلى أهمية أفكاره في قضايا المرأة دون تحليل الأبعاد التربوية المرتبطة بها ودون ربط منطلقاتها بمصادر التربية المعاصرة وأدبياتها المتنامية..

* ربط الغزالي التربية بحركة المجتمع وقام بنقد الواقع وأشار إلى أن شئون الزواج والأسرة تحتاج إلى وزارة مستقلة وطالب بضرورة تمهيد طريق الفضيلة.
* رسم الغزالي الإطار التربوي لمشروعه وأكد على ضرورة تفعيل دور المرأة فهي شقيقة الرجل وطلب العلم ـ بمعناه الشامل ـ فريضة عليها.
* التربية في بلادنا الإسلامية لم تحسن استغلال مواهب الشباب.
* ويرى الغزالي أن التربية هي التزكية «والتزكية: هي البحث عن كل عيب في النفس الإنسانية ووقفه واجتثاث جذوره، ثم يجيء بعد هذا تكميل النفس الإنسانية بالكمالات الإنسانية» وفي تعريف مشابه يقول الشيخ : التربية هي «أن يستجمع الإنسان الفضائل التي لا بد منها للكمال الإنساني» (ص ١٣٨ ـ ١٤٠) وعلماء التربية يؤكدون على أن التوسط في الأمور هو الفضيلة عينها.
* تحدث الغزالي عن تثقيف المرأة وعرف التثقيف فقال: «هو تفتيق

الذهن والمواهب وتصحيح فكرة الإنسان عن الكون والحياة وتعهد سلوكه بما يلائم الحق والواجب».

* التربية الناجحة تحتاج إلى البيئة السليمة و في ذلك يقول الشيخ «والتربية المنشودة ليست دروسا تلقى، إنما هي جو يصنع، وإيحاء بغزو الأرواح باليقين الحي والعزيمة الصادقة».

* لا يحبذ الغزالي فكرة نبذ العقاب البدني تماماً وينتقد التربية الحديثة لأنها ألغت الإيذاء المادي.

* ليس كل دخيل يستراب فيه.

* الطفولة صفحة بيضاء يخط فيها الآباء والأساتذة ما شاءوا.

* ويطلب الغزالي تقليل الأفلام الكرتونية المعروضة للطفل مع زيادة حفظ ما تيسر من كتاب الله لتنشيط الذاكرة كما يحذر من الاعتماد على العصا لأنه عبث ضار.

▪ يؤمن الغزالي في كتابه **الحق المر** أن العمل السياسي لطلب الحكم يجب أن لا يستغرق إلا ١٪ من العمل الإسلامي الصحيح أما ما تبقى من جهد فيجب أن يُصرف في إصلاح الأخلاق المتردية التي تملأ بلادنا بالعقد.

* من الشئون التي تحتاج للإصلاح تقاليد الزواج والطلاق ويصرح الغزالي بأنه مرتاب من قدرة وخبرة مَن يريد الوصول للحكم وهو لم يباشر إصلاح الفوضى في المجتمع.

* الأمة التي تفقد التربية السليمة لا تحقق شيئاً، ولن تنجح الثورات لعلاج المشكلات وعلينا كما يقول الغزالي «أن نعرق في تزكية النفوس بالأخلاق العالية، وفي دعم المجتمع بالتقاليد الصالحة».

* العلة غالبا في طرائق تدريس المناهج لا في المناهج التعليمية نفسها ففي مدارسنا وجامعاتنا مناهج متقدمة أحيانا ولكن طرائق التعليم لا تواكبها.

* التربية هي الإفادة من التقدم العلمي «لتزكية الشخصية وتهذيب سلوكها»، والأصل في التربية تعهد الأخلاق، والخلق «هو عادة الإرادة». وضح الغزالي أن المفروض في برامج التربية تحقيق أمرين:

أولاً: أن ترسم الوجهة للسلوك المنشود.

ثانياً: أن تُدَرِّب الأفراد على هذا السلوك، وتأخذهم به أخذاً مستمراً حتى يصبح طبعاً لهم وصبغة ثابتة فيهم، فالمربي أشبه بالزراع الذي يتولى البذر والحرث والسقيا والحماية والإخصاب والانتقاء حتى تنضج الثمرة»..

- وكلمة التربية عند الغزالي تعني التزكية «والتسامي بالنفس وامتلاك الهوى». ويعرف التربية الدينية بأنها «نوع خاص من البناء المعنوي يجعل المرء متجهاً بقواه كلها إلى غاية معلومة وضابطاً لحياته وفق نظام مرسوم.

- التربية عند الغزالي تطالب بإصلاح شامل عن طريق توسيع عملية إعداد المرأة لتدعم مسيرة التنمية دون الإخلال بوظيفتها في البيت.

* قام الغزالي في **ركائز الإيمان** ببيان ضرر الأحاديث المكذوبة مثل حديث «لا تعلموهن الكتابة ولا تسكنوهن الغرف» وحديث «خير للمرأة ألا ترى رجلاً ولا يراها رجل» فهذه الأحاديث الباطلة

استقبلها الناس كأساس السلوك في بعض البيئات وأشار الغزالي في **فقه السيرة** إلى أن الجهل بالسنة النبوية جعل البعض يعزل النساء تماما عن الحياة العامة.

* ليس للآباء إكراه بناتهم في التزوج ممن يكرهن لكن لهم حق الاعتراض على العقد إذا أساءت الفتاة التصرف في نفسها.
* المرأة العاطلة في الشرق أفضل من المرأة الفاسدة في الغرب ولكن المرأة يجب أن تختار آداب الإسلام وليس لأحد أن يخيرها بين الشرين.
* ينبغي تصحيح تصور المرأة عن نفسها أولاً ثم تصحيح تصورات المسلمين عن شخصيتها ثانياً فهي شخصية سوية طموحة.
* تتجلى وسطية الغزالي في أنه شجع عطاء المرأة في خدمة المجتمع والعمل خارج المنزل وذلك عبر المشاركة في الأعمال التي تناسبها مع التأكيد على أن وظيفة ربة بيت وظيفة عظيمة ولا تَعارض أبداً بين المسارين. ولا توجد حاجة لأن تُخيَّر المرأة بين البيت أو العمل خارجه طالما أنها تستطيع الوفاء بحق الوظيفتين بصورة متوازنة. يحمل الإنسان في طياته طاقات عظيمة تتيح له ممارسة عمله في محيط المجتمع ودائرة الأسرة في تناغم.
* يحترم الغزالي مكانة المرأة كما يتفهم طبيعتها وتكوينها الجسدي والنفسي ويؤمن بأن مواهبها واستعداداتها تسع لتحصيل المعارف وتنمية المجتمع.
* يرى الشيخ أن عملية تثقيف المرأة يجب أن تتحرر من الكثير من الموروثات السلبية التي ما زالت باسم الدين أو التقاليد تقلص

ميادين تربيتها وتزيد من معاناتها.

* خاض الغزالي معارك فكرية كثيرة لتوسيع دائرة تعليم المرأة كي تشارك في أنشطة المجتمع دون قيود جامدة تكبل حركتها أو أفكار سلبية وافدة تفشل مسيرتها.

- استخدم الغزالي رؤية نقدية لنشر أفكاره التي حاول أن تكون معتدلة فانتقد تقاليد الشرق المجحفة التي لا تقل خطراً عن تقاليد الغرب المسرفة، وصورت كتاباته قصة ظلم المرأة بين مِطرقة المغالين وسَندان المقصرين.

- يرى الغزالي أنه لا بد من رعاية الأسس النفسية والاجتماعية من أجل تقديم برامج إصلاحية نافعة وفيما يلي أهم الأسس:

. توثيق الصلة بين المرأة وينابيع الثقافة الدينية والمدنية.

. إعادة الحياة للعلاقة بين النساء وبيوت الله في الصلوات.

. تدريس الوظائف التربوية للبيت المسلم حتى نستطيع تخريج أجيال تعرف ربها ودينها ومعاشها ومعادها.

. الحكم بإعدام ما تواصى المسلمون به في تقاليد الزواج من مغالاة في المهور وإسراف في الحفلات.

. وصل ما بين البيت المسلم وقضايا المجتمع الكبرى.

- ضبط الواقع لا ضغطه أساس نظرية الغزالي في تربية المرأة وهي نظرية رائدة تتسم بالسداد والوسطية لأنها ترفض فوضى الغرب، وتنكر تشدد الشرق.

- من أهم الأمور التي يمكن أن نستنبطها أيضاً من فقه الغزالي أننا

يمكن أن نستفيد من الأنظمة التربوية الغير إسلامية طالما أنها تحقق مقاصد الدين وتتسق مع مصالح المجتمع. وهكذا لا يمانع الغزالي من الاستفادة من تقاليد لم نعرفها إذا بدت صلاحيتها مثل فكرة تشجيع المرأة في الإنتاج في مؤسسات الدولة.

* تقوم منظومة الفكر التربوي عند الغزالي على أساس احترام مبدأ الحرية والاختيار والشورى الملزمة واحترام الخلاف العلمي النزيه والنقد النزيه والتعددية الموضوعية وهذه المفاهيم الأصيلة تنسجم مع مضامين مفردات التربية المعاصرة التي تدعو للاعتدال والشمول.

* اعتبر الغزالي أن الذين أجازوا أن يجبر الأب ابنته البالغة على الزواج بمن تكره قد انساقوا مع تقاليد إهانة المرأة وتحقير شخصيتها.

* البيت هو مكان كريم عظيم ولهذا يرى المؤلف أهمية قيام المرأة برعاية منزلها وهذا التوجه لا يتعارض مع تشجيعها على خدمة المجتمع دون الإخلال بحق الأسرة ومع مراعاة الآداب الشرعية في الخروج من المنزل.

* لا يمانع الغزالي من تربية المرأة كي تكون حاكمة أو وزيرة أو سفيرة.

* بعض المتدينين دون مستوى الفهم بطبيعة المجتمع الإنساني ولوظيفة المجتمع الإسلامي لأنهم يرون أنه لا عمل للمرأة إلا أن تلد الأولاد.

* شجع الغزالي النساء على حرية التحرك الفعال خارج البيت ولم

يمانع من تولي النساء المؤهلات أغلب المناصب في الدولة إذا لم تتعارض متطلبات تلك المهن مع طبيعتهن ووظيفتهن في الأسرة كما سمح الغزالي للمرأة بدخول أجهزة الإعلام والمشاركة في الغناء ما دام الغناء شريف الغرض، عفيف الأداء.

* طالب الغزالي بضرورة السماح للمرأة بارتياد المساجد والمدارس، وبين أن سفور الوجه ليس محرماً، وأكد أن تدريب المجتمع على تطبيق الفضائل والآداب العامة «يحتاج إلى تربية على نطاق أتم وأشمل».

* لا يؤمن الغزالي بنشر العفة من خلال عزل المرأة وحبسها ولا يؤمن بالاختلاط المطلق لأن تلك الطرق من أفشل ضروب التربية.

- يجب أن يكون الاختلاط بصورة لا تؤدي إلى استثارة الغرائز ونشر الفوضى.

- شرح الغزالي الفرق بين التبرج وبين التجمل فالتبرج إثارة مفتعلة للفت الأنظار، أما التجمل فهو «صون الجسد واستبقاء محاسنه الطبيعية واستبعاد ما يشينها أو يشوهها، وذلك لا حرج فيه بل هو مطلوب».

- وتحدث الغزالي عن ملابس النساء فقال «فمن الواجب ابتكار أزياء تجمع بين الفضيلة والجمال، وتمنع التبرج والفساد» وهكذا فإن الغزالي لا يتفق تماما مع الكثير من الفتاوى الشائعة والأعراف الراسخة المقيدة للباس النساء..

- يرى الغزالي أنه «لا تزال الحاجة ماسة إلى حركة نسائية مؤمنة

عاقلة».

* يقودنا فكر الغزالي لمراجعة شاملة للتقاليد والأعراف العربية أو الغربية التي تحكم حياة المرأة مع الإفادة الموضوعية من تجارب الحركة النسائية. ما زلنا في العالم العربي ننظر للنهضات العالمية في الحقل النسوي نظرة سطحية بعين واحدة تحصي الزلات ولا تدارس المكاسب.

* يرى الغزالي أن السكوت عن تقصير المسلمين في حق المرأة لا يقل شراً عن تمجيد التجربة الغربية ولا بد من عودة حميدة لمبادئ ديننا لرسم الرسالة الحضارية للمرأة المسلمة.

* التربية عند الغزالي تعتمد على التفاعل الحضاري في ميدان الثقافة وتبادل التجارب الناجحة مع المحافظة على روح الاستقلال.

* يتمركز فكر الغزالي حول مفهوم إصلاحي هام وهو أن مواجهة التدين الفاسد يكون بالتدين الصحيح لا بترك الدين كما فعل بعض المشتغلين بموضوع تحرير المرأة.

■ وجد الغزالي أن تحرير المرأة لا يكون بإقحامها في وظائف لا تناسبها ولا يتحقق التحرير الفعلي بتهوين دور البيت فتترك المرأة مهنتها الأساسية في المنزل كي تزاول وظيفة كمالية لا تحكمها العلاقات المهذبة.

* طالب الغزالي بتشجيع الواعظات المجيدات لإلقاء الخطب في مساجد العواصم الكبرى في عالمنا الإسلامي كما طالب بتشجيع النساء على مواصلة التحصيل الدراسي والتخصص في أدق العلوم.

- يحث الغزالي المرأة على السير والسفر لتتسع مداركها، وتنصقل تجاربها، وتزيد ثقتها، وترتفع همتها.
- وضع المرأة من أهم الأسباب الاجتماعية فقد حُرمت من فنون العلم ولا عجب أن أفواج الراهبات دخلت إلى ديارنا للقيام على رعاية مستشفياتنا في حين أن نساء العرب قعيدات البيوت وأنشطتهن محصورة في نطاق المتعة الجسدية «والحضانة الغريزية».

* يعتقد أن فكرة حبس النساء وعقلية السجان هيمنت على عملية التثقيف في ديار الإسلام منذ فترة طويلة..

- يجزم الغزالي بانهيار التربية السليمة في العالم الإسلامي.
- يجب فتح آفاق التعليم أمام المرأة وعلينا أن نغريها بالمزيد لو حاولت الاكتفاء مثلها مثل الرجل[(١)].
- لقد حذرالغزالي من سوء مغبة تجهيل المرأة ولكن لوائح الكثير من مؤسسات التعليم قد تساوي بين حقوق الرجل والمرأة في الظاهر ولكنها بصورة غير مباشرة تضع العراقيل للحد من تعليم المرأة وإتمام دراساتها العليا فالمرأة التي تقرر إتمام دراستها سوف تفكر وتترد في هذا الشأن لأن زوجها المرافق لها سيُحرم من مزايا كثيرة ـ مثل بدل السكن أو علاوة الأبناء ـ حسب قوانين البعثات الدراسية أما الرجل فيتمتع عادة بهذه الامتيازات في حال بعثته.

---

(١) من هنا نعلم، ص ١٦٦.

* الدين يقوم على مبدأ إعمال العقل، وإعمار الحياة. الرجل مع المرأة يتحملان هذه الرسالة السامية التي لا تتحقق إلا بالتربية القويمة التي تزكي الخلق، وتنمي المواهب والاستعدادات، وتوسع المدارك، وتحسن السلوك. جاءت التربية الإسلامية لإسعاد النفس ولتسيير أمور الناس باليسر والسماحة لخدمة غايات دنيوية ودينية نبيلة ولكن الفكر التقليدي ضيَّق واسعاً وكبَّل ثقافتنا المعاصرة بقيود اجتماعية ثقيلة ليست من محكمات الدين كما أن التسليم المطلق لفكر الغرب عند بعض المثقفين أوقع العرب اليوم في مهاوي لا تقل خطورة عن التشدد والتدين الفاسد وهذا الأمر جعل الغزالي يبني فكره الإصلاحي الحر على نقد كل الأعراف الراكدة والوافدة لا سيما في حقل تربية النساء.

* يرى الغزالي أن بعض العادات الجائرة في مسألة تنشئة المرأة عقبة كؤود في طريق تكوين شخصية مستقلة تمارس حقوقها في الاختيار وصنع القرار فلذلك خصص جهاده الفكري لمعالجة الموضوعات ذات الصلة بهدف النهوض بالمرأة.

* تقوم فلسفة الغزالي التربوية على الإيمان بالفروق الفردية ورعاية المواهب الإنسانية وتشغيل الطاقات المعطلة وعلى رأس هذه الطاقات الثمينة طاقات المرأة التي ما زالت مبعثرة وغير مستثمرة على الوجه الأكمل.

* يرى الغزالي أن تراثنا الفكري يعاني من انحراف واضح في فهم رسالة المرأة الحضارية وأن مظالم كثيرة تقع على المرأة حتى ضاق نطاق تثقيفها وأنه قد آن الأوان لأن نبدأ بالتصويب والتمحيص كي نكشف الحقيقة دون تراخ أو خوف بشرط

الموازنة بين التحديات المدنية والمرتكزات الدينية.

* هاجم الغزالي فكرة عزل المرأة وتجهيلها كما أنه لم يهادن من يدعو للمساواة والتحرير وفق المنظور العلماني.

* من الملاحظ أن الغزالي في مشروعه الإسلامي الرائد في تحرير المرأة لم ينتقد سلبية المرأة المسلمة عندما تخلت عن ممارسة حقوقها الشرعية وكان يلوم التفكير الجامد المتأثر بالبيئة عند بعض الفقهاء، وكان يلوم التدين الفاسد، وكان يلوم الهجمات التغريبية.

أهم المراجع العربية

إبراهيم، عبدالمنعم (١٤٢١هـ = ٢٠٠١م). **تربية البنات في الإسلام**. ط١، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

ابن جاسم، شيخة يوسف عبدالقادر (١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م). **المرأة والعدالة من منظور ليبرالي**. ط.١

ابن عثيمين، محمد بن صالح (١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣ م). **مجموعة اسئلة تهم الأسرة**. موقع الشيخ بن العثيمين:

http://www.binothaimeen.com/

ابن عثيمين، محمد بن صالح (٢٠٠٢م). **كتاب العلم**. اعتنى به وخرج أحاديثه: أبو سهل عصام السيد السهلي. الإسكندرية: دار الإيمان.

أبو بكر، أمينة و شكري، شيرين (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م). **المراة والجندر: إلغاء التمييز الثقافي والاجتماعي بين الجنسين**. بيروت: دار الفكر.

أبو شادي، أحمد (١٤١٨هـ = ١٩٩٨م). **رحلتي مع الجماعة الصامدة**. دار التوزيع والنشر الإسلامية.

أبو شقة، عبدالحليم، (١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م). **نقد العقل المسلم: الأزمة والمخرج**. تقديم د. محمد عمارة. ط .١ الكويت: دار القلم.

أبو شقة، عبدالحليم، (١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م). **تحرير المراة في عصر الرسالة**. ط ٥، الكويت: دار القلم.

أحمد، زكي (١٤١٢هـ = ١٩٩٢). **تحولات الفكر والثقافة في الحركة الإسلامية**. ط١، بيروت: دار البيان العربي.

أحمد، عمر عبدالله عبدالرحيم (١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م). **فكر الشيخ محمد الغزالي في إطار مدرسة الإصلاح الإسلامي بمصر**. إشراف د. حامد طاهر. جامعة القاهرة: كلية دار العلوم: قسم الفلسفة الإسلامية.

إسبوزيتو، جون. ل (٢٠٠٣ م). تقديم: النساء في الإسلام والمجتمعات الإسلامية. **في الإسلام والجنوسة، والتغير الاجتماعي**. تحرير: إيفون يزبك حداد وجون ل. إسبوزيتو. ترجمة: أمل الشرقي. مراجعة: فؤاد سروجي. ط ١، المملكة الأردنية الهاشمية: الأهلية.

الأشقر، عمر سليمان عبدالله (١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م). **صحيح القصص النبوي**. ط ٦. الأردن: دار النفائس.

آل رشي، علاء الدين (١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م). **هكذا علمني محمد الغزالي**. ط١، بيروت: دار الوفاء للنشر والتوزيع.

أيوب، فوزي (١٩٩٣م) **المدرسة والتحيز الجنسي في العالم العربي؛ تطبيق على صورة المراة في كتب القراءة العربية في الكويت**. في المجلة التربوية. مج (٨)، ع (٢٩).

بلتاجي، محمد (١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م). **مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة**. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

بن نبي، مالك (١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م). **مشكلات الحضارة؛ شروط النهضة**. ترجمة: عمر كامل مسكاوي وعبدالصبور شاهين. بيروت: دار الفكر.

البنا، حسن (بدون سنة الطبع). **المرأة المسلمة**. خرج أحاديثه

وراجعه: محمد ناصر الدين الألباني. بيروت: دار الجيل.

البيومي، محمد رجب (١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م). **النهضة الإسلامية في سير أعلام المعاصرين**. ط١، بيروت: دار القلم.

تقرير التنمية الإنسانية العربية ٢٠٠٣ م. هيئة الأمم المتحدة:

http://www.undp.org/rbas/ahdr/arabic2003.html

تقرير التنمية الإنسانية العربية ٢٠٠٢ م. هيئة الأمم المتحدة:

http://www.undp.org/rbas/ahdr/arabic2002.html

تمام، أحمد (١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٤ م). الغزالي .. فارس الدعوة والتبليغ. موقع إسلام أون لاين:

http://www.islamonline.net/Arabic/history/1422/02/article17.shtml

جبرين، عبدالله (١٤١٩هـ). الأجوبة الفقهية على الأسئلة التعليمية والتربوية. إعداد وترتيب وتخريج: عبدالعزيز بن ناصر المسند. الرياض: دار القاسم للنشر.

الجزائري، أبو بكر جابر (١٤١٠هـ = ١٩٩٠م). القول الكريم الغالي في الدفاع عن الداعية الغزالي. ط١، جدة: مكتبة السوادي للتوزيع.

حتحوت، حسان. بهذا ألقى الله: رسالة إلى العقل العربي المسلم. الكويت: مؤسسة فهد المرزوق الصحفية.

حداد، إيفون يزبك (٢٠٠٣ م). معضلات في العالم العربي المتغير. في الإسلام والجنوسة، والتغير الاجتماعي. تحرير: إيفون يزبك حداد وجون ل. إسبوزيتو. ترجمة: أمل الشرقي. مراجعة: فؤاد سروجي. ط ١، المملكة الأردنية الهاشمية: الأهلية.

حسنة عمر عبيد (١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٤ م). في رحاب الحرم. دار المكتب الإسلامي. موقع الوحدة الإسلامية:

http://www.alwihdah.com/download.asp

الحسيني، سهيلة (١٤١٩هـ = ١٩٩٨م). المرأة في منهج الإمام الغزالي. ط١، القاهرة: دار الراشد.

حمادة، فاروق (١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م). منهج البحث في الدراسات الإسلامية. ط١، دمشق: دار القلم.

حميداتو، مصطفى محمد (٢٠٠٣ م). عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية. سلسلة كتب الأمة القطرية (عدد رقم ٥٧، سنة ١٤١٨ هـ، السنة السابعة عشر). موقع إسلام وب:

http://www.islamweb.net/umma/57/umma_57_frame.htm

حيدر، خليل علي (١٤٢٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م). جهاد ... في المدارس. في جريدة الوطن: الاثنين ١ ـ ٩ ـ ٢٠٠٣ م، رقم العدد: ٩٩٠٣ ٤٣٤٩ السنة ٤٢:

http://www.alwatan.com.kw/default.aspx?page=5&topic=193406

خليل، عماد الدين وعويس، عبدالحليم وعبدالتواب، رمضان وعزام محفوظ (١٤٢٣هـ = ١٩٩٣م). الشيخ محمد الغزالي: صور من حياة مجاهد عظيم ودراسة لجوانب من فكره. القاهرة: دار الصحوة.

دكير، محمد (١٤٢٣هـ ٢٠٠٢ م). نحو بناء حقل لدراسة قضايا المرأة المسلمة. في كتاب المنهاج: المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر: إشكاليات التراث وتحديات الحداثة. ط١، لبنان: بيروت. الغدير للطباعة والنشر والتوزيع.

الدلال، محمد سامي (١٤٢١هـ = ٢٠٠١م). المرأة المسلمة والولايات العامة. الكويت: مركز المستشار الإعلامي.

رضا، محمد رشيد (بدون سنة الطبع). حقوق النساء في الإسلام. دمشق: المكتب الإسلامي.

رمضان، كافية (٢٠٠٢م). الجنسوية في كتب المطالعة للمرحلة الابتدائية في دولة الكويت. مقابلة شخصية غير منشورة قامت بها الدكتورة لطيفة الكندري.

زين العابدين، سهيلة (١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤ م). المرأة وقضايا الإصلاح. (قدمت الورقة في ندوة التي نظمها مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني في الفترة من ٢٧/ ٣١ ـ ١٢ ـ ٢٠٠٣ وشارك فيها أكثر من ٤٠ شخصية سعودية من العلماء والمفكرين). إسلام أون لاين:

http://www.islamonline.net/Arabic/doc/2004/02/article02_16.shtml

السباعي، نوال (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م). مَأزِق المرأة العربية في يوم المرأة. في موقع إسلام أون لاين:

http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/adam-25/sawt-2.ASP

السعداوي، نوال و عزت، هبة رؤوف عزت (١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م). المرأة والدين والأخلاق. ط١، بيروت: دار الفكر.

سعداوي، وفاء (١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤ م). الغزالي نصير المرأة. موقع إسلام أون لاين:

http://www.islamonline.net/arabic/adam/2004/03/article06.shtml

السقا، أحمد حجازي (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م). دفع الشبهات عن الشيخ محمد الغزالي. ط١، بيروت: المكتبة الثقافية.

سليمان، نجدة إبراهيم علي (١٩٩٩م). صورة المرأة في كتب التعليم الأساسي في ضوء حقوقها في الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

صالح ، أماني (١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٤ م). نحو منظور إسلامي للمعرفة النسوية. موقع إسلام أون لاين:

http://www.islamonline.net/Arabic/contemporary/2004/02/article01.shtml

صالح، أماني وأبو المجد، زينب ومصطفى، هند (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م). المرأة العربية والمجتمع في قرن: تحليل وببلوغرافيا الخطاب العربي حول المرأة في القرن العشرين. بيروت: دار الفكر.

الصاوي، محمد وجيه (١٤١٥هـ = ١٩٩٥ م). الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم: دراسة تحليلية لآراء العقاد وعائشة عبدالرحمن.

صبح، محمد أحمد جاد (١٤١٣هـ = ١٩٩٣م). التربية الإسلامية: دراسة مقارنة. بيروت: دار الجيل.

الطالبي، عمار (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م). الشيخ الغزالي كما عرفته في الجزائر. في إسلامية المعرفة. السنة الثانية، العدد السابع، ماليزيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

عبدالرحيم، محمد (١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م). قصص رواها الرسول صلى الله عليه وسلم. ط.١ دمشق: دار الإيمان.

عبدالستار، فتحي (١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤ م). الغزالي... فارس الدعوة في ذكراه: رجل دعوة وكفى. موقع إسلام أون لاين:

http://www.islamonline.net/Arabic/Daawa/2004/03/article01.shtml

عبدالقدوس، محمد (٢٠٠٠م). في الدعوة والدعاة. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد الله الحنفي كلمة وفاء / الراحل الجليل الشيخ الغزالي رحمه

الله. في مجلة الرشاد. السنة الأولى: ربيع ١٩٩٦/١٤١٦ هـ.
http://www.alrashad.org/issues/02/02-08-ra.htm

عبدالوهاب، ليلى (١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٤ م). ازدواجية الفكر وتأثيره في الوعي عند المرأة العربية. موقع البلاغ:
http://www.balagh.com/deen/y41f2cav.htm

العدوي، عبدالرحمن (١٩٩٧م). الإمام الغزالي: الدعوة والداعية. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

عزت، هبة رؤوف (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م). الحق المر: الشيخ محمد الغزالي وقضايا المرأة. في إسلامية المعرفة. السنة الثانية، العدد السابع، ماليزيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

العقيل، عبدالله (١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م). من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة. ط١، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية.

العلوي، هادي (١٩٩٦ م). فصول عن المرأة. ط١، لبنان: دار الكنوز الأدبية.

عمارة، محمد (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م). الإسلام والمرأة في رأي الإمام عبده. ط٥، القاهرة: دار الرشاد.

العودة، سلمان بن فهد (١٤٠٩هـ). في حوار هادئ مع محمد الغزالي. ط.١

عويس، عبدالحليم (١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م). الشيخ محمد الغزالي: تاريخه، جهوده، وآراؤه. ط١، دمشق: دار القلم.

غزاوي، زهير (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م). ملامح النظرية الاجتماعية عند السيد محمد حسين طباطبائي في تفسير الميزان: قضية المرأة. في

المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر: إشكاليات التراث وتحديات الحداثة. ط١، بيروت: الغدير.

غضبان، منير محمد (بدون سنة الطبع). أضواء على تربية المرأة المسلمة. في المرأة المسلمة لحسن البنا، خرج أحاديثه وراجعه: محمد ناصر الدين الألباني. بيروت: دار الجيل.

الغلاييني، مصطفى (١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م). عظة الناشئين: كتاب أخلاق وآداب واجتماع. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

فالح، عامر عبدالله (١٣٢٠هـ =٢٠٠٠م). معجم ألفاظ العقيدة. ط٢، الرياض: مكتبة العبيكان.

الفريح، سهام عبدالوهاب (١٤١٤هـ ١٩٩٣م). الأنماط الشائعة لأدوار الرجل والمرأة في الكتب المدرسية وأدب الأطفال. في حوليات كلية الآداب. الحولية الرابعة عشر، الرسالة الثانية والتسعين، الكويت: جامعة الكويت.

فلوسي، مسعود (١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م). الشيخ محمد الغزالي رائد منهج التفسير الموضوعي في العصر الحديث. ط١، القاهرة: دار الصحوة للتوزيع والنشر.

القرضاوي، يوسف (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م). الشيخ الغزالي كما عرفته في رحلة نصف قرن. ط١، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

القصيبي، غازي بن عبدالرحمن (٢٠٠٣ م). ثورة في السنة النبوية. بيروت: دار الساقي.

القضماني، محمد ياسر (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م). محمد فوزي فيض

الله: العلامة الفقيه المربي. ط١، دمشق: دار القلم.

قطب، محمد (١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م). منهج التربية الإسلامية. ج٢، بيروت: دار الشروق.

قلعه جي، محمد رواس (١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م). طرق البحث في الدراسات الإسلامية. بيروت: دار النفائس.

قمبر، محمود (١٩٩٥م). إسماعيل قباني. في مفكرون من أعلام التربية. المشرف على التحرير: زغلول مرسي. ج٢، اليونسكو.

القناعي، يوسف بن عيسى (١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م). الملتقطات. موقع القناعات:

http://www.alqenaei.net

الكندري، لطيفة حسين وملك، بدر محمد (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م). تعليقة أصول التربية. ط١، الكويت: مكتبة الفلاح.

الماص، يوسف أحمد عبداللطيف (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م). المبدعون: مناهج، مواقف، منجزات. ج١، الكويت: وزارة الإعلام.

المدخلي، ربيع بن هادي (١٤٠٩ هـ). كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها ونقد بعض آرائه. موقع المدخلي: net.rabee.www تاريخ دخول الموقع: ٤ ـ ٢ ٢٠٠٣ م.

ملك، بدر والكندري، لطيفة (١٤٢٢ هـ = ٢٠٠٢ م). تراثنا التربوي: ننطلق منه ولا ننغلق فيه. الكويت: مكتبة الطالب الجامعي.

المهريزي، مهدي (١٤٤٢هـ). المرأة في الإسلام وإيران. طهران: مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع.

مهلهل، جاسم محمد (١٤٠٤هـ = ١٩٨٤ م). للدعاة فقط. ط١، الكويت: دار الدعوة.

الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م). ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة. دمشق: دار القلم.

الميلاد، زكي (٢٠٠١م). تجديد التفكير الديني في مسألة المرأة. ط١، المغرب: المركز الثقافي العربي.

نصير، آمنة محمد (١٤٢٢هـ = ٢٠٠١ م). المرأة المسلمة بين عدل التشريع وواقع التطبيق. القاهرة: دار الكتاب الحديث.

نظيرة، زين الدين (١٩٩٨م). السفور والحجاب. ط٢، دمشق: دار الثقافة للنشر.

هويدي، فهمي (١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣ م). بحثاً عن الإجماع الوطني. في جريدة الوطن الكويتية. العدد: ٩٦٩٤/ ٣١٤٠ ـ السنة ٤١. يوم الثلاثاء: ٣ ذو الحجة ١٤٢٣ هـ الموافق ٤ فبراير ٢٠٠٣ م، ص ٢٣).

وقيع الله، محمد (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م). ملامح الفكر السياسي للشيخ محمد الغزالي. في إسلامية المعرفة. السنة الثانية، العدد السابع، ماليزيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

يالجن، مقداد (١٤١٩هـ =١٩٩٩م). مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية. ط١، الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.

يس، عناد محمد عمارة (١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م). حركة تحرير في ميزان الإسلام. ط١ ، المنصورة: دار اليقين للنشر والتوزيع.

يكن، فتحي (١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٤ م). الحركة الإسلامية بين المتشددين والمبشرين.. دراسة عميقة. موقع الوحدة الإسلامية (نقلا عن إسلام أون لاين نت):

http://www.alwihdah.com/view.asp?cat=4&id=49

كتب الغزالي
وأشرطته السمعية التي تم الرجوع إليها[1]

١ ـ الغزالي، محمد (١٩٩٧م). الاستعمار أحقاد وأطماع. ط١، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

٢ ـ الغزالي، محمد (٢٠٠٢م). الإسلام في وجه الزحف الأحمر. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

٣ ـ الغزالي، محمد (٢٠٠٢م). الإسلام المفترى عليه. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

٤ ـ الغزالي، محمد (٢٠٠٠م). الإسلام والاستبداد السياسي. ط٢، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

٥ ـ الغزالي، محمد (٢٠٠٢م). الإسلام والأوضاع الاقتصادية. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

٦ ـ الغزالي، محمد (١٩٩٧م). الإسلام والطاقات المعطلة. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

(١) لم نطلع على كتب الغزالي التالية: أزمة الشورى في المجتمعات العربية والمعاصرة. تحقيق صيد الخاطر للإمام ابن الجوزي وكتاب تحقيق ذم الهوى للإمام ابن الجوزي والخلل من هنا، والغزو الثقافي يمتد في فراغنا. من المؤسف أن موقع الشيخ الغزالي على الانترنت قد توقف رغم الحاجة الماسة إلى موقع إلكتروني يضم أشرطة وكتب الشيخ الغزالي ونقترح أن تقوم بعض المؤسسات المعنية بتصميم موقع يلبي حاجة الباحثين.

٧ ـ الغزالي، محمد (١٩٩٧م). الإسلام والمناهج الاشتراكية. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

٨ ـ الغزالي، محمد (٢٠٠٢م). تأملات في الدين والحياة. ط٢، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

٩ ـ الغزالي، محمد (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م). تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل. ط٤، القاهرة: دار الشروق.

١٠ ـ الغزالي، محمد (١٤٢٢هـ ٢٠٠١م). التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلامية: دحض شبهات ورد مفتريات. ط٢، دمشق: دار القلم.

١١ ـ الغزالي، محمد (١٤٢٠هـ ١٩٩٩م). الجانب العاطفي من الإسلام: بحث في الخلق والسلوك وتهذيب النفس. ط١، دمشق: دار القلم.

١٢ ـ الغزالي، محمد (٢٠٠٢م). جدد حياتك. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

١٣ ـ الغزالي، محمد (٢٠٠١م). جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

١٤ ـ الغزالي، محمد (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م). حصاد الغرور. ط١، القاهرة: دار الشروق.

١٥ ـ الغزالي، محمد (٢٠٠٠م). الحق المر. ج[(١)] ١ ـ ٦، ط٢،

---

(١) الجزء السادس من منشورات دار الشروق. الجزء الرابع ١٩٩٧م، الجزء الخامس ٢٠٠٢م.

القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

١٦ ـ الغزالي، محمد (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م). حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة. ط٤، القاهرة: دار الدعوة.

١٧ ـ الغزالي، محمد (١٩٩٨م). حقيقة القومية العربية. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

١٨ ـ الغزالي، محمد (١٤١٨هـ ١٩٩٨م). الحياة الأولى: ديوان شعر العالم الجليل الشيخ محمد الغزالي. حققه وكتب مقدمته: مصطفى الشكعة. بيروت: دار الشروق.

١٩ ـ الغزالي، محمد (١٩٨٨م). خطب الشيخ محمد الغزالي في شئون الدين والحياة. إعداد: قطب عبدالحميد قطب. ج٢، القاهرة: دار الاعتصام.

٢٠ ـ الغزالي، محمد (٢٠٠٢ م). خلق المسلم. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

٢١ ـ الغزالي، محمد (٢٠٠٢ م). دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

٢٢ ـ الغزالي، محمد (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م). دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين. ط٣، دمشق: دار القلم.

٢٣ ـ الغزالي، محمد (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م). الدعوة الإسلامية في القرن الحالي. ط١، القاهرة: دار الشروق.

٢٤ ـ الغزالي، محمد (٢٠٠٢م). دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

٢٥ ـ الغزالي، محمد وطنطاوي، محمد سيد، وهاشم، أحمد عمر (١٩٩١ م). المرأة في الإسلام. مكتبة أخبار اليوم الإسلامية.

٢٦ ـ الغزالي، محمد (١٤٢٠هـ ١٩٩٩م). ركائز الإيمان بين العقل والقلب. ط ٤، بيروت: الدار الشامية.

٢٧ ـ الغزالي، محمد (١٤٢١هـ ٢٠٠٠م). سر تأخر العرب والمسلمين. ط١، دمشق: دار القلم.

٢٨ ـ الغزالي، محمد (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م). السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث. ط١٢، القاهرة: دار الشروق.

٢٩ ـ الغزالي، محمد (١٤٢١هـ ٢٠٠٠م). صيحة تحذير من دعاة التنصير. ط١، دمشق: دار القلم.

٣٠ ـ الغزالي، محمد (١٤١٧هـ ١٩٩٩م). الطريق من هنا. ط٢، دمشق: دار القلم.

٣١ ـ الغزالي، محمد (٢٠٠٠م). ظلام من الغرب. ط٢، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

٣٢ ـ الغزالي، محمد (١٤٢١هـ ٢٠٠٠م). عقيدة المسلم. ط١١، دمشق: دار القلم.

٣٣ ـ الغزالي، محمد (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م). علل وأدوية. ط٣، دمشق: دار القلم.

٣٤ ـ الغزالي، محمد (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م). فقه السيرة. ط١، القاهرة: دار الشروق.

٣٥ ـ الغزالي، محمد (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م). فن الذكر والدعاء

عند خاتم الأنبياء. ط٢، القاهرة: دار الشروق.

٣٦ ـ الغزالي، محمد (٢٠٠٢م). في موكب الدعوة. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

٣٧ ـ الغزالي، محمد (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م). مقتطفات من حياة الشيخ. في إسلامية المعرفة. السنة الثانية، العدد السابع، ماليزيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٣٨ ـ الغزالي، محمد (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م). قذائف الحق. ط٢، دمشق: دار القلم.

٣٩ ـ الغزالي، محمد (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م). قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة. ط٧، القاهرة: دار الشروق.

٤٠ ـ الغزالي، محمد (٢٠٠١م). كفاح دين. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

٤١ ـ الغزالي، محمد (١٩٩٧م). كنوز من السنة. ط٣، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

٤٢ ـ حسنة، عمر عبيد (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م). كيف نتعامل مع القرآن. في مدارسة مع الشيخ محمد الغزالي. ط٢، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

٤٣ ـ الغزالي، محمد (١٤٢١هـ ٢٠٠٠م). كيف نفهم الإسلام. ط١، دمشق: دار القلم.

٤٤ ـ الغزالي، محمد (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م). ليس من الإسلام. ط١، القاهرة: دار الشروق.

٤٥ ـ الغزالي، محمد (١٤٢٣ه ـ ٢٠٠٢م). مائة سؤال عن الإسلام[١]. موقع الغزالي:

http://www.ghazaly.net/Ar/ArabicBooks/100Q&A/100QA-Intro.htm

٤٦ ـ الغزالي، محمد (١٩٨٩م). محاضرات الشيخ محمد الغزالي في إصلاح الفرد والمجتمع. جمع وإعداد: قطب عبدالحميد قطب. القاهرة: دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٧ ـ الغزالي، محمد (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م). المحاور الخمسة للقرآن الكريم. ط١، القاهرة: دار الشروق.

٤٨ ـ الغزالي، محمد (١٩٩٩ م). مشكلات في طريق الحياة الإسلامية. ط٤، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

٤٩ ـ الغزالي، محمد (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م). مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة. ط٣، دمشق: دار القلم.

٥٠ ـ الغزالي، محمد (٢٠٠٠م). معركة المصحف. ط٢، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

٥١ ـ الغزالي، محمد (١٩٩٧م). من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

٥٢ ـ الغزالي، محمد (٢٠٠٢م). من مقالات الشيخ محمد الغزالي (١ ـ ٣). القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

٥٣ ـ الغزالي، محمد (١٩٩٦م). من هنا نعلم. ط٢، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

---

(١) لم يكتمل عرض هذا الكتاب على الموقع.

٥٤ ـ الغزالي، محمد (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م). نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم. القاهرة: دار الشروق.

٥٥ ـ الغزالي، محمد (٢٠٠٢م). نظرات في القرآن. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.

٥٦ ـ الغزالي، محمد (١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م). هذا ديننا. ط١، بيروت: الدار الشامية.

٥٧ ـ الغزالي، محمد (١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م). هموم داعية. ط٣، دمشق: دار القلم.

٥٨ ـ الغزالي، محمد (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م). اليهود المعتدون ودولتهم إسرائيل. بيروت: دار الشامية.

٥٩ ـ حبنكة، عبدالرحمن والغزالي، محمد (١٤١١هـ = ١٩٩١). الثقافة الإسلامية (المستوى الأول ١٠١ ـ المستوى الثاني ٢٠١). ط١٢، جدة: مركز النشر العلمي: جامعة الملك عبدالعزيز.

٦٠ ـ الغزالي، محمد (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م). سورة النور ودورها في بناء الأسرة المسلمة[1]. في موقع إسلام ويب.

http://www.islamweb.net/family/osra/osra13.htm

٦١ ـ الغزالي، محمد (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م). سورة النساء. شريط سمعي مدته ٦٣ دقيقة. في موقع الشيخ محمد الغزالي.

http://www.ghazaly.net/Audio/LectureIndices/Lecture2.htm

(١) ورد هذا المقال في كتاب مقالات الشيخ محمد الغزالي. ج٢، من إصدارات نهضة مصر سنة (٢٠٠٢م).

٦٢ ـ الغزالي، محمد (١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣ م). الزواج في الإسلام. شريط سمعي مدته ١٦ دقيقة. في موقع الشيخ محمد الغزالي.
http://www.ghazaly.net/Audio/LectureIndices/Lecture2.htm

٦٣ ـ الغزالي، محمد (١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣ م). مكانة المرأة في الإسلام. شريط سمعي مدته ٢١ دقيقة. في موقع الشيخ محمد الغزالي.
http://www.ghazaly.net/Audio/LectureIndices/Lecture1.htm

أهم المراجع الأجنبية

Abul-Fadl , Mona (2003) Islam and Reform: Gender Perspectives on ■ Theme. In Muslim Women Studies (a site that is sponsored by the Zahira Abdin Chair for the Study of Women and Gender). http://www.muslimwomenstudies.com/islam_and_reform.htm Accessed 2003-01-03.

Al-Azemi, B. A. (2002) The Role of the Society of the Muslim Brothers in the Development of Modern Islamic Educational Thought in Egypt (1928-1980s). Un-publishing thesis. UK: The University of Birmingham.

Al-Ghazali, M. (2000). A thematic commentary on the Qur'an. Translated by: Ashur A. Shamis. Rivised by: Zaynab Alawiye. Herndon, VA: International institute of Islamic thought.

Alkanderi, L. (2001). Exploring education in Islam: Al-Gahazali's model of the master-pupil relationship applied to educational relationships within the Islamic family. Unpublished doctoral Thesis. Pennsylvania State University, PA: Pennsylvania.

Ayubi, N. N. (1995). Al-Ghazali, Muhammad. In J. Esposito (Ed.), The Oxford encyclopedia of the modern Islamic world (pp. 63-64). New York, NY: Oxford Univ. Press.

Conrad, D. R. (2003). Brameld, Theodore (1904-1987). In encyclopedia of education. (2ed. ED). Macmillan Reference: Thomson Gale.

Hoffman-Ladd, V. J. (1995). Women and Islam: Women's religious observances. In J. Esposito (Ed.), The Oxford encyclopedia of the modern Islamic world (pp. 327-331). New York, NY: Oxford Univ. Press.

Hofmann, M. (1997). Islam 2000. 2ND Revised Edition. Beltsville, MD: Amana Publications.

Hoy, W. K. (2003). School Climate. In encyclopedia of education. (2ed, ED) vol, 6. New York: Macmillan Reference: Thomson Gale.

Lang, J. (2000). Even Angels Ask. 3rd ed. Beltsville, Mary Land: Amana Publications.

Merriam-Webster's Collegiate Encyclopedia (2000). Springfield: Merriam-

Webster incorporated.
Soltis, J. F. (2003). Dewey, John (1859-1952). In encyclopedia of education. (2ed, ED) vol, 2. New York: Thomson.

المحتويات

أصداء ٥

كلمة المركز ٧

توطئة ١٣

نبذة عن حياة الغزالي ١٥

الدراسات السابقة ١٨

مشكلة البحث، والحاجة إليه ٢٤

منهج البحث وأسئلته ٣٢

المحور الأول: التربية عند الغزالي ٣٤

المحور الثاني: المنطلقات الفكرية للشيخ الغزالي في تربية المرأة ــــ ٤٢

المحور الثالث: موقف الشيخ الغزالي إزاء تحديات تربية المرأة ٦٠

المحور الرابع: آراء الغزالي وتطوير تعليم المرأة ٧٠

ضرورة مراجعة وتجديد فكر المصلحين ٧٦

النتائج ٨٤

الخلاصة ٨٨

مقتطفات من كلمات ومقالات الشيخ ٩٠

المرأة بين رحمة الشارع وقسوة الشارح ٩٠

من العجز إلقاء تبعات فشلنا على الآخرين ٩٢

مقتطفات من كتاب السنة النبوية ٩٥
هذه عقيدتي وغايتي ٩٥
لمس المرأة ٩٦
دية المرأة ٩٦
آداب اللباس ٩٧
ضرب النساء ٩٨
حديث ضعيف ١٠١
دعوة غير موفقة ١٠٢
مع عمر رضي الله عنه ١٠٢
الحياة والحجاب ١٠٥
المرأة والأسرة والوظائف العامة ١١٣
قصة الناقة ١٢٦
ملحق بأهم الأفكار الواردة في الكتاب ١٣١
أهم المراجع العربية ١٤٧
كتب الغزالي وأشرطته السمعية التي تم الرجوع إليها ١٥٩
أهم المراجع الأجنبية ١٦٧

د. بدر محمد ملك

* نائب رئيس قسم الأصول والإدارة التربوية في كلية التربية الأساسية.
* حصل على شهادة الدكتوراة عام ١٩٩٧ تخصص أصول التربية من جامعة بتسبيرغ في الولايات المتحدة.
* ٢٠٠٢ رئيس لجنة التاليف لمقرر «مهارات الحياة» في اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية - الديوان الأميري.
* ٢٠٠٠ - ٢٠٠١ مدير المركز الإسلامي لمدينة ستيت كولج في ولاية بنسلفانيا الأمريكية.
* ألف مجموعة كتب تربوية منها كتاب السبق التربوي في فكر الإمام الشافعي، بالإشتراك مع فضيلة الشيخ خليل أبو طالب رحمه الله تعالى.

د. لطيفة حسين الكندري

* عضو هيئة تدريس في كلية التربية الأساسية والمستشارة المحلية في مركز الطفولة والأمومة والذي يعمل تحت إشراف مباشر لوزارة التربية واللجنة الوطنية الكويتية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو).
* حصلت على درجة الدكتوراه في الأصول والإدارة التربوية من جامعة بنسلفانيا ستيت في الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠١.
* حصلت على بكالوريوس تربية، تخصص لغة عربية من كلية التربية الأساسية عام ١٩٩٢.
* قامت بتاليف عدة كتب منها كتاب مهارات الحياة للصف الأول والثاني الابتدائي، وكتاب تعليقة أصول التربية.

مركز الرايــة
للتنمية الفكرية

مؤسسة ثقافية ناشرة تعنى بالفكر الإنساني وتجلياته الإبداعية، وتسعى لبعث ثقافة منفتحة تعانق الآخر ولا تستبعده أو تقصيه، وتنمي أنهار المعرفة بتغذيتها بفكر حر متجدد.

يقوم المركز على ثوابت وقسمات هوية الأمة الرئيسة ليؤصل مفاهيم حضارية مثل:

- ✓ العقلانية والرشد الفكري هما ركيزتا البعث الحضاري المنشود للأمة.
- ✓ استلهام الدروس والعبر من الماضي ليعيش الحاضر بعين مبصرة واستكشاف المستقبل بروح متبصرة.
- ✓ التركيز على عوامل العطل والكلالة والاستنبات التي أدخلت الأمة في نفق الصوت لا الفعل، ومحاولة الكشف عن جذورها ورصد تفرعاتها المتعددة وصولاً إلى حلول لأمراضنا الفكرية والتربوية والنفسية والاجتماعية و... و...
- ✓ إغناء عقل القارئ العربي بما فيه المتعة والفائدة، وجذب القراء بمختلف شرائحهم العمرية بإصدار ما يتفق مع طموحاتهم وينمي وعيهم ويفتح آفاق المعرفة أمامهم.
- ✓ إصدارات أكثر تنوعاً وغنى لوضع أسس جديدة في تفهم الذات والتعامل مع الآخر وذلك من قبل مجموعة من المفكرين المتميزين بفكر حر أصيل.

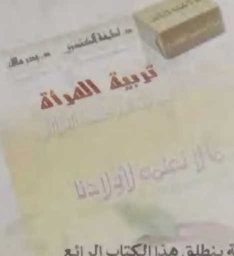

بعيداً عن لغة الجسد أو أي رمزية مبتذلة أو إكراه أو إرغام على سحق معاني الأنوثة ينطلق هذا الكتاب الرائع الرصين.

إنه تأملات في توجيهات وفكر المصلح الكبير محمد الغزالي النسر الذي حلق في سماء المعرفة والثقافة والإصلاح والتغيير والاعتدال وقدم شهادته على الدين والعصر دون إرضاء لأحد أو تزييف للحقيقة.

الكتاب تأملات تحاول تصحيح الصورة المشوهة للمرأة ورسم لوحة ترتكز على نقاء الرسالة ويسر الإسلام.

إننا ما لم ننهض بمفاهيم التربية وبخاصة تلك التي تتعلق بالمرأة فلن نبني مجداً ولن ننهض من كبوتنا.

وهذا الكتاب لمؤلفين عبقريين آثرا الحقيقة على الوهم والدين على العادات والسنة على البدعة والعلمية على المغالاة.

وهما ينشطان في ميدان مقفر صعب بعد أن انسحب منه الكثير واكتفوا بمواعظ تهتم بالظاهر ولا تستبطن الوعي والرشاد، وقد كان حكيماً جداً أستاذي الكبير د. عبد الكريم البكار الذي لفت النظر الى ضرورة الاهتمام بالثقافة والفكر والتربية للمرأة بنسب متساوية مع الاهتمام بالاحكام الظاهرة والتي تتعلق بها.

إن هذا الكتاب هو تحرير المرأة من أجل المرأة من دون إفراط ولا تفريط، وقد اتبع المؤلفان الكريمان النهج الوسط فاختارا محمد الغزالي صاحب الرؤى النقدية التي تؤسس لوعي يستنهض العزائم ويهب للمرأة إنسانيتها ورونقها فالجمال الحقيقي لاتصنعه مساحيق المكياج وبيوتات الأزياء أو فنون اطالة الأظافر، ومعالم الأنوثة لا تستطيع (روبي) أن تظهرها بتكسراتها ولا بتدين ناقص يريد قهر وحبس المرأة، إنه فوق كل هذه المظاهر الخادعة، جمال تربيتنا في أن نربي بناتنا على العيش في العصر دون انسحاب وأن يفتخرن بالتزامهن وهويتهن دون هروب أو تقوقع وأن يفهمن الحياة ويرتفعن بالمجتمع بجناح الطهر والمسؤولية.

أليس من المعيب حضارياً وخلقياً ودينياً أن نلزم نساءنا بأعراف مقيدة تحد من نشاطهن وعقولهن وتأسرهن لمفاهيم تقعد بعزيمتهن.

أوصانا رسولنا الكريم بهن خيراً ووجههن إلى الحياة والمسجد والبناء والنهوض فكن شركاء من أجل مجتمع سليم لم ينظر إليهن بأجسادهن ولكن بمدى تطابق فكرهن مع مسؤوليتهن ورسالتهن.

سيدتي الوالدة وسيدي الوالد

أدعوكما لتدبر هذا الكتاب إنه فتح معرفي يحامي عن الحقيقة ويبرق من ثناياه الفكر الوسطي المعتدل وستكون نهايته بداية انطلاق وعي رشيد من أجل امرأة تحب الله وتفهم الحياة.

وللسيد المؤلف والسيدة المؤلفة الأجر من الله ولهما منا المحبة والاحترام والتقدير.

علاء الدين آل رشي

المدير الإعلامي لمركز الراية للتنمية الفكرية

TIHAMA تهامة